السيد المسيح عليه السلام

فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

إعـــداد

د / منصور حسن أحمد حسن

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية للبنات ببني سويف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحَمْدَ لله ، نَحْمَدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به من شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضْلِلْ، فَلا هَادِيَ لَهُ.

وأشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه ورَسُولُه.

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١).

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢).

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

أما بعد : فقد قدر الله ﷻ أزلاً خلاص المسجد الأقصى من اليهود

(١) آل عمران : ١٠٢

(٢) النساء : ١

(٣) الأحزاب : ٧٠ ، ٧١ .

الملاعين على يد سيدنا عيسى والمهدى المنتظر – عليهما سلام الله – وتلك قضية من الأهمية بمكان ، لاسيما وأنها تتعلق بعلامات الساعة الكبرى وبنبى من أنبياء الله – عليهم السلام – وبخليفة من آل بيت سيدنا رسول الله ﷺ وبمسجد بارك الله ﷻ حوله ومن هنا ألهبت هذه القضية أقلام الكتاب والباحثين وشدت انتباههم فأردت – كباحث على الطريق من هؤلاء الباحثين – أن أسهم بدورى فى هذه القضية بهذا البحث الذى سميته : " السيد المسيح عليه السلام فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة "

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٤).

أسباب كتابة البحث :

وقد دفعتنى إلى الكتابة فى هذا البحث عدة أسباب ، من أهمها ما يلى :

١ – الدفاع عن ساحة المسجد الأقصى المبارك الذى يشكو إلى الله ﷻ فى هذا الزمن اعتداءات اليهود الآثمين وتفريط المسلمين ، فأردت أن أسهم بالدفاع عنه ولو بكلمة صادقة ، راجياً من الله ﷻ قبولها .

(٤) فى الآية ٨٨ من سورة هود .

٢ – إيضاح الحق فى مسألة القائد الحقيقى الذى يخلص الله على يديه المسجد الأقصى الأسير من اليهود الغاشمين حتى لا ينخدع مسلم بأساطير اليهود وأمانيهم وافتراء حاخاماتهم ، وبأساطير النصارى وأمانيهم وافتراء أحبارهم ورهبانهم .

٣ – الواقع المعاصر المر الذى تحياه أمتنا الإسلامية الآن وما آل إليه المسجد الأقصى مؤخراً فرض على الكتابة فى هذا الموضوع حتى يساير البحث الواقع الذى نعايشه .

خطة البحث :

قد هدانى الله عز وجل إلى عرض هذا البحث فى المباحث الأربعة الآتية :

المبحث الأول : فى ظلال حياة سيدنا عيسى عليه السلام على الأرض قبل رفعه إلى السماء .

المبحث الثانى : رفع سيدنا عيسى عليه السلام إلى السماء .

المبحث الثالث : أهم الأحداث التى تمهد لنزول المسيح عليه السلام آخر الزمان فى الوقت المحدد فى علم الرحمن .

المبحث الرابع : نزول سيدنا عيسى عليه السلام وقتله للدجال وخلاصه للمسجد الأقصى من اليهود .

والآن حان الشروع فى المقصود بعون الملك المعبود فأقول وبالله التوفيق :

المبحث الأول

فى ظلال حياة سيدنا عيسى عليه السلام على الأرض قبل رفعه إلى السماء

لما فقد الشعب الإسرائيلى عقيدة التوحيد بعد وفاة سيدنا موسى عليه السلام أراد الله عز وجل أن يرده إليها ، فأجرى له من الآيات ولادة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ذاك النبى الكريم والرسول الأمين الذى قفى الله عز وجل به أنبياء بنى إسرائيل وختمهم به سبحانه فكان سيدنا عيسى عليه السلام ردءاً لسيدنا موسى عليه السلام مصدقاً لما بين يديه من التوراة وقد خلقه الله عز وجل خلقاً عجيباً على غير عادة البشر لكى يجعل منه آية للناس ومثلاً فخلقه من أم بلا أب من السيدة مريم البكر البتول عليها سلام الله .

يقول ربنا تبارك وتعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا . فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ (١) فقوله تعالى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ أى فألجأها واضطرها الطلق إلى جذع النخلة وهو بنص حديث الإسراء الذى رواه

(١) الآيتان ٢٢ ، ٢٣ من سورة مريم .

النسائى (١) بإسناد لا بأس به عن أنس مرفوعاً والبيهقى بإسناد وصححه عن شداد بن أوس مرفوعاً أيضاً ببيت لحم (٢) وهذا هو المشهور الذى تلقاه الناس بعضهم عن بعض (٣) ، وبيت لحم مدينة قرب بيت المقدس (٤) هذا وقد أعلن سيدنا عيسى عليه السلام عقيدة التوحيد والعبودية لله عز وجل منذ اللحظات الأولى من ولادته ، لاسيما حينما اتهم اليهود – لعنهم الله – أمه بالزنا ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا . قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا . وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ (٥) .

وهكذا يعلن المسيح عليه السلام عبوديته لله سبحانه وتعالى وأنه عز وجل جعله نبياً وأعطاه الإنجيل وبارك فيه وأوصاه بالصلاة والزكاة والبر بوالدته والتواضع مع عشيرته مدة حياته ثم إن الله – عز وجل – قد امتن عليه بآلاء عظيمة وأيده بمعجزات كثيرة فقال سبحانه : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ

(١) فى سننه الصغرى المجتبى " / ك الصلاة / ب فرض الصلاة وذكر اختلاف الناقلين فى إسناد حديث أنس ابن مالك رضى الله عنه واختلاف ألفاظهم فيه ١ / ٢٤١ ، ٢٤٢ جزء حديث برقم ٤٤٩ ونصه : " . . . ثم قال : أى سيدنا جبريل عليه السلام لسيدنا رسول الله ﷺ : " انزل فصل ، قال النبى ﷺ : " فنزلت فصليت ، فقال : " أتدرى أين صليت ؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام .

(٢) رواه الإمام البيهقى فى " دلائل النبوة " ٢ / ٣٥٥ – ٣٥٧ من طريقين عن أبى إسماعيل الترمذى به وهو جزء حديث نصه : " . . . . فقال : – أى جبريل للنبى ﷺ صل ، فصليت ، ثم ركبنا فقال : أتدرى أين صليت ؟ قلت : الله أعلم ، قال : صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى المسيح ابن مريم " ثم قال البيهقى بعد تمامه : (وهذا إسناد صحيح ، وروى ذلك مفرقاً فى أحاديث غيره ونحن نذكر من ذلك – إن شاء الله – ما حضرنا .....) ثم ساق أحاديث كثيرة فى الإسراء كالشاهد لهذا الحديث ، والحديث أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٧ / ٧١٤٢ من طريق إسحاق بن إبراهيم به ، وأخرجه البزار فى مسنده ٨ / ٣٤٨٤ وقال : (هذا الحديث لا نعلمه يروى عن شداد بن أوس عن النبى ﷺ إلا بهذا الإسناد ، وذكره الإمام الهيثمى فى " مجمع الزوائد " ١ / ٧٨ ، ٧٩ وقال : (رواه البزار والطبرانى فى المعجم الكبير . . . . وفيه إسحاق بن إبراهيم بن العلاء وثقه يحيى بن معين وضعفه النسائى) وأورده السيوطى فى الدر المنثور ٤ / ٢٦٣ وعزاه لابن أبى حاتم وابن مردويه .

(٣) " تفسير القرآن العظيم " للإمام ابن كثير ٩ / ٢٣١ ، ٢٣٢ باختصار / ط مؤسسة قرطبة ، " قصص الأنبياء " للحافظ ابن كثير أيضاً ص ٤٢٢ بتصرف .

(٤) " معجم البلدان " لياقوت بن عبد الله الحموى / حرف الباء والياء وما يليهما ١ / ٥٢١ .

(٥) الآيات ٢٩ – ٣٢ من سورة مريم .

تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ﴾ (١) .

ثم أرسله ربنا تبارك وتعالى إلى بنى إسرائيل بالدين الإسلامى الذى يتضمن توحيد الله – عز وجل – وغيره مما أفصح عنه المسيح عليه السلام حينما كان فى المهد صبياً ، شأنه إقامة هذا الدين كالأنبياء السابقين ، إذا يقول ربنا – تبارك وتعالى – : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (٢) ولا عجب فقد ارتضى الله عز وجل الإسلام للبشرية ديناً وداعياً إليه ودليلاً عليه وسراجاً منيراً فقال سبحانه : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (٣) ومن ثم لم يقبل غيره بديلاً حيث قال فى محكم التنزيلا : " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (٤) ومن هنا فقد بلغ المسيح عليه السلام بنى إسرائيل هذه الرسالة وأدى لهم هذه الأمانة فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (٥)

وقال أيضاً : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (٦)

وعلى الرغم من هذه الرسالة الباهرة الناصعة وتلك الدعوة الساطعة النيرة التى تؤيدها البراهين الدامغة القاطعة فقد استمر اليهود – قاتلهم الله أنى يؤفكون – يرجفون الفرية على السيدة مريم بنت عمران – عليها من الله الرضوان – بل اتخذوها سبيلاً فى إنكار نبوته وجحد رسالته فلم يستجب لهم إلا مجموعة قليلة عرفوا بالحواريين من أمة بنى إسرائيل كلها ، وفى ذلك يقول الله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ . رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٧)

وهؤلاء هم النصارى المذكورون فى قوله

١) فى الآية ١١٠ من سورة المائدة .
٢) فى الآية ١٣ من سورة الشورى .
٣) من ١٩ فى سورة آل عمران .
٤) الآية ٨٥ من نفس السورة .
٥) الآية ٦٤ فى سورة الزخرف .
٦) فى الآية ٧٢ من سورة المائدة .
٧) الآيتان ٥٢ ، ٥٣ فى سورة آل عمران .

تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ . وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (١) ثم مكر اليهود فوشوا إلى ملكهم العسوف الظالم فى هذا الوقت قائلين له : إن هاهنا رجل يحيى الموتى ، ويبرئ الأكمه والأبرص ، ونخشى إن ترك أن يفتن الناس به وينصرفون إليه وهذا فيه خطر عليك – كعادة الوشاة دائماً – فعقد ذلك الملك العزم على قتل المسيح عليه السلام (٢) .

١) الآيتان ٨٢ ، ٨٣ من سورة المائدة .
٢) اقتصرت على هذه النبذة فقط من حياة سيدنا عيسى على الأرض قبل رفعه إلى السماء حسبما اقتضاه المقام ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن معظم ما روى فى هذه القضية فى كتب التفسير والتاريخ إسرائيليات منقولة عن وهب ابن منبه وغيره من أهل الكتاب لذا اقتصرت فيما ذكرت على الصحيح ، ومن أراد المزيد فليراجع كتب التفسير ، كتفسير الإمام ابن كثير والطبرى والرازى والآلوسى وكذا كتب التاريخ ، كالبداية والنهاية لابن كثير والكامل لابن الأثير وتاريخ ابن خلدون وتاريخ اليعقوبى وتاريخ الطبرى " .

المبحث الثاني

رفع سيدنا عيسى عليه السلام إلى السماء

خلص الله عز وجل المسيح عليه السلام من اليهود وملكهم الظالم حينما تآمروا على قتله فرفعه إليه وقد أورد الحافظ ابن كثير – رحمه الله – أثراً فى صفة رفعه عليه السلام وعزاه لابن أبى حاتم حيث قال : " قال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلا من الحواريين يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال : إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي قال : ثم قال : أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي ؟ فقام شاب من أحدثهم سنا فقال له : اجلس ثم أعاد عليهم فقام ذلك الشاب فقال : اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا فقال : هو أنت ذاك فألقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء قال : وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به وافترقوا ثلاث فرق :

فقالت فرقة : كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء . وهؤلاء اليعقوبية . وقالت فرقة : كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه . وهؤلاء النسطورية. وقالت فرقة : كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدا ﷺ وذلك قوله تعالى : " فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ " [1] — ثم قال الإمام ابن

---

[1]) فى الآية ١٤ فاصلة سورة الصف ، والأثر رواه الإمام ابن أبي حاتم فى تفسيره ٤ / ١١١٠رقم ٦٢٣٣ والنسائى فى تفسيره برقم ٦١١ وفى السنن الكبرى برقم ١١٥٩١ وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٧ / ٤٧٥ من طريق أبي معاوية به ، والطبرى فى تفسيره ٢٢ / ٦٢٢ ، ٦٢٣ وفى آخره لفظ : " . . . . فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً ﷺ " فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة " يعنى الطائفة التى كفرت من بنى إسرائيل فى زمن عيسى ، والطائفة التى آمنت فى زمن عيسى ، " فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين " ، كما أورده ابن الجوزى فى تفسيره ٢ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ وعزاه لابن عباس رضى الله عنهما ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور " ٥ / ٩٦ ، ٩٧ وعزاه لعبد بن حميد والنسائى وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما ، كما أورده الإمام الشوكانى فى تفسيره ١ / ٨٠٧ وزاد نسبته لسعيد بن منصور ، ثم ذكر رواية ابن أبي حاتم ، ثم قال : (قال ابن كثير — بعد أن ساقه بهذا اللفظ عن ابن أبي حاتم — " وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس "

كثير بعد ذكره لهذا الأثر : { وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس على شرط مسلم ، وكذا ذكره غير واحد من السلف . } [2] وهكذا لما رفع الله ﷻ سيدنا عيسى عليه السلام إلى السماء وألقى شبهه على أحد الحواريين قام اليهود بقتله وصلبه آنذاك ، معتقدين أنهم قتلوا المسيح عليه السلام وصلبوه ، ثم صارت هذه عقيدة راسخة فى عقول نسلهم وفى توراتهم المحرفة إلى اليوم .

يقول الشيخ ديدات : { يرى اليهود كما تعرف أن المسيح لم يكن هو المسيح الذى كانوا ينتظرونه ولا حاجة لتفصيل رأيهم ذاك ، فهم بإيجاز ينكرون المسيح ويعتقدون كذبه ويزعمون قتله على الصليب ويكون أمره قد انتهى بعملية الصلب المميت إذن } [3] ، ومن ثم ذكر الله تعالى عقيدتهم هذه ورد عليها فى القرآن الكريم حيث قال فى سياق حديث سورة النساء عن اليهود :

وصدق ابن كثير فهؤلاء كلهم من رجال الصحيح) ، ومن ثم فإن هذا الأثر صحيح عن ابن عباس وهو على شرط مسلم كما قال الحافظ ابن كثير وغيره والله أعلم .

[2]) تفسير ابن كثير ٣٣٦/٤ ، ٣٣٧ . بتصرف يسير، قصص الأنبياء لابن كثير ص٤٥٤ بتصرف .

[3]) " مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء " للشيخ أحمد ديدات ص١٩٤ ترجمة على الجوهرى / ط دار الفضيلة.

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ ﴾ [1] .

أما النصارى الحواريون الذين عاصروا المسيح عليه السلام عند رفعه فمنهم من ظل على إيمانه به حيث قالوا : كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله إليه ، وهؤلاء هم المسلمون ، ومنهم من كفر به اثنى عشرة مرة بعد أن آمن به ثم افترقوا فرقتين : اليعقوبية الذين قالوا : كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء ، والنسطورية الذين قالوا كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه .

وقد أشار الله ﷻ إلى اختلافهم هذا وبين أنه مبنى على الظن والهوى فقال ﷻ : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ ثم تظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها ، فطمس الإسلام حينذاك حتى بعثة النبى محمد ﷺ كما حرف النصارى الإنجيل الصحيح بعد رفع سيدنا عيسى عليه السلام فكتبوا عدة أناجيل ، وزادوا فيها عقيدةً ثالثة هى أن الله ثالث ثلاثة ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

---

[1]) فى الآية ١٥٧ من سورة النساء .

يقول الإمام ابن كثير — رحمه الله — عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ [2] : { والصحيح أنها نزلت في النصارى خاصة قاله مجاهد وغير واحد ثم اختلفوا في ذلك فقيل : المراد بذلك كفارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة : وهو أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا قال ابن جرير وغيره : والطوائف الثلاثة من الملكية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم وهم مختلفون فيها اختلافا متباينا ليس هذا موضع بسطه وكل فرقة منهم تكفر الأخرى والحق أن الثلاثة كافرة .

وقال السدي وغيره : نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار قال السدي : وهي كقوله تعالى في آخر السورة ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴾ الآية [3] وهذا القول هو الأظهر والله أعلم } [4] .

---

[2]) من الآية ٧٣ فى سورة المائدة .

[3]) ١١٦ فى سورة المائدة .

[4]) " تفسير ابن كثير " ٢ / ٧٧ / ط دار الحديث .

وهذه الاعتقادات الفاسدة هى السائدة فى أذهان النصارى وأناجيلهم حتى اليوم ، كما أنهم يعتقدون أن المسيح قتل وصلب ، وأن الله تعالى – الذى يسمونه الأب – مكن اليهود من قتل وصلب ابنه فداءً للبشرية من الخطيئة ، ولذلك فإن المسيح عندهم هو المخلص الذى خلص البشرية من شؤم الخطيئة ، وأنه دفن ثم مكث فى قبره ميتاً ثلاثة أيام ثم قام فكلمهم ثم صعد إلى السماء وجلس عن يمين الرب أبيه ، وهو ينتظر إلى يوم الخلاص ليقضى بين الأحياء والأموات [1] !! ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [2]

قال الدكتور عبد العزيز الحميدى :

(جاء فى إنجيل يوحنا لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم ، بل ليخلص به العالم الذى يؤمن به) [3] .

وفى رسالة بطرس الرسولى الأولى :

(... فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا ، فمع أنه هو البار فقد تألم من أجلنا نحن المذنبين لكى يقربنا إلى الله فمات الجسد ، ثم عاد حياً فى الروح الذى فيه أيضاً) [4] .

لكن فى إنجيل برنابا نصاً يغاير ما تقدم ، ففيه أن المسيح لم يصلب ، بل رفع قبل ذلك وألقى شبهه على يهوذا الإسخريوطى – أحد حوارييه الاثنى عشر – حينما دل الجنود على موضعه .

قال الدكتور عبد العزيز الحميدى نقلا عن إنجيل برنابا : (ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع[5] سمع يسوع دنو جم غفير ، فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً ، وكان الأحد عشر نياماً ، فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وآدريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب فحملوه ووضعوه فى السماء الثالثة فى صحبة الملائكة التى تسبح الله إلى الأبد ، ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التى أصعد منها يسوع .... فأتى الله العجيب بأمر عجيب فتغير يهوذا فى النطق وفى الوجه فصار شبيهاً بيسوع حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع) [6] .

---

١) " دقائق التفسير " لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢ / ٩٧ بتصرف .

٢) من الآية ٥ فى سورة الكهف .

٣) " صراع النهاية " ص٦٠ نقلاً من إنجيل يوحنا عدد ١٧ ، ١٨ / ص ٢ .

٤) عدد ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ / ص ٣ .

٥) أى المسيح عليه السلام .

٦) صراع النهاية ص٦٠ ، ٦١ نقلاً من " إنجيل برنابا " (١٤ – ٢٠ – ٢٢٠) وينظر كتاب

لكن عموم النصارى لا يعترفون بهذا النص فى إنجيل برنابا لأمرين :

الأمر الأول : أنه ينسف أساس عقيدتهم فى الخلاص والإيمان بيسوع المخلص الذى صلب وقتل فداءً للبشرية من الخطيئة .

الأمر الثانى : أن فيه التصريح بعبودية المسيح لله – تعالى – لا أنه ابن الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً [1]

وذلك لا يقتضى صحة هذا الإنجيل على الإطلاق لكن فيه جزئيات هى الأقرب إلى الصواب لاسيما وأن الإنجيل الشرعى قد حرف بعد رفع المسيح عليه السلام .

وأما الإسلام فيقرر فى وضوح وجلاء أن المسيح عليه السلام لم يقتل ولم يصلب ، وإنما رفعه الله إليه حياً بجسده وروحه وهو الآن فى السماء الثانية ، وهذا رأى الجمهور .

وقد استدل الجمهور بما يلى :

الدليل الأول : قول الله تعالى :

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا . بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [2] .

تقدم الأثر الصحيح الثابت عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه [3] فى تفسير هاتين الآيتين الكريمتين ، وفيه قصة الشبه ، وقوله رضى الله عنهما : " فألقى عليه – أى أحد الحواريين – شبه عيسى ورفع عيسى من روزنة فى البيت إلى السماء ، وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه " فهذا الأثر الصحيح عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه يثبت قتل وصلب أحد الحواريين حين ألقى الله عليه شبه المسيح عليه السلام كما يثبت رفع المسيح حياً إلى السماء ، وهذا لا يتعارض مع ما روى عن ابن عباس نفسه من تفسير " التوفى " فى قول الله تعالى : ﴿ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [4] بالإماتة لأنه لم يصح سنده فقد رواه ابن جرير – رحمه الله – حيث قال : (حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس

---

١) محاضرات فى النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة ص٢٤ ، وكتاب النصرانية من التوحيد إلى التثليث للدكتور / محمد أحمد الحاج ص٢٨١ – ٣٠٥ .

١) " صراع النهاية بين مسيح الضلالة ومسيح الهداية " للدكتور / عبد العزيز بن أحمد بن محسن الحميدى ص٦١ .

٢) الآيتان ١٥٧ ، ١٥٨ من سورة النساء .

٣) فى ص٧ .

٤) من الآية ٥٥ فى سورة آل عمران .

قوله تعالى : " إني متوفيك " يقول: إني مميتك) (1) وهذا إسناد منقطع ، إذ هو من رواية علي بن أبي عن سيدنا عبد الله بن عباس ، وعلى صدوق لم يسمع منه ولم يره (2) ، كما لم يصح أيضاً ما روى عن وهب بن منبه اليماني من تفسير " التوفى " بالإماتة ثلاث ساعات فقد رواه الطبري أيضاً حيث قال (حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه اليماني أنه قال: توفى الله عيسى ابن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه إليه) (3) وهذا الأثر من رواية " محمد بن إسحاق عمن لا يتهم ، عن وهب " ففيه عنعنة ابن إسحاق وهو مدلس ، وفيه مجهول ، ثم هذا التفسير لا يزيد عن كونه احتمالاً في معنى التوفى ، لاسيما وقد أنكر الله عز وجل على اليهود قولهم واعتقادهم قتل المسيح عليه السلام وصلبه فقال : ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا . وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ ثم أخبر ربنا عز وجل أنه رفع المسيح إليه فقال : ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ وهذا نص صريح واضح لا يحتمل أي تفسير أو تأويل سوى أن الله عز وجل قد رفع المسيح عليه السلام جسداً وروحاً إليه حماية له من قتل اليهود وصلبهم ، وقد كان ذلك منه تعالى رحمة به وتكريماً له ، وليكون آية من آياته التي يؤتيها من يشاء من رسله ، وما أكثر آيات الله عز وجل في سيدنا عيسى عليه السلام أولاً وآخراً ، ومقتضى الإضراب في قوله عز وجل : " بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ " أن يكون سبحانه وتعالى قد رفع المسيح عليه السلام بدناً وروحاً حتى يتحقق به الرد على زعم اليهود أنهم صلبوه وقتلوه ؛ لأن القتل والصلب إنما يكون للبدن أصالة ولأن رفع الروح وحدها لا ينافي دعواهم القتل والصلب فلا يكون رفع الروح وحدها رداً عليهم ، ولأن اسم عيسى عليه السلام حقيقة في

---

(1) " جامع البيان " ٥ / ٤٥٠ ، وهذا الأثر أخرجه الإمام ابن أبي حاتم في تفسيره ٢ / ٦٦١ رقم ٣٥٨٠ من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطي في " الدر المنثور " ٢ / ٣٦ لابن المنذر.

(2) " الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير " د / محمد بن محمد أبو شهبة ص١٥١.

(3) " تفسير الطبري " ٥ / ٤٥٠ والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢ / ٦٦١ برقم ٣٥٨١ من طريق سلمة به ، وأورده القرطبي في تفسيره ٢ / ١٣٤٢ وضعفه واستبعده ، كما أورده الشوكاني في تفسيره ١ / ٥٢٠ وضعفه.

الروح والبدن جميعاً فلا ينصرف إلى إحداهما عند الإطلاق إلا بقرينة ولا قرينة هنا ، ولأن رفع روحه وبدنه جميعاً مقتضى كمال عزة الله وحكمته وتكريمه ونصره من شاء من رسله حسبما قضى به قوله تعالى في ختام الآية : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ ومن هنا لا يجوز لأحد أن يقول أو يعتقد أن الرفع لسيدنا عيسى عليه السلام رفع مكانة ومنزلة ، أو رفع لروحه فقط ؛ لأن ذلك باطل بما ذكرته آنفاً كما يبطله أيضاً .

أمران آخران:

الأمر الأول : أن الله قد ذكر هذا الرفع في معرض الرد على زعم اليهود قتل المسيح ، فلو كان الرفع للروح لكان في ذلك تصديق لهم في قتلهم المسيح عليه السلام وإزهاق روحه .

الأمر الثاني : لو كان الرفع لروحه فقط لم يبق للمسيح ابن مريم عليه السلام أية ميزة على غيره فكل الأنبياء عليهم السلام بل كل المؤمنين ترفع أرواحهم عند موتهم إلى السماء ، فأية ميزة تبقى للمسيح حتى ينوه الله بذكر رفعه في القرآن هذا التنويه العظيم . (1)

الدليل الثاني من أدلة عدم قتل المسيح وصلبه: قوله تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ . إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (2) .

مكر اليهود – لعنهم الله – في محاصرتهم لبيت المسيح عليه السلام ليأخذوه فيصلبوه ومكر الله وهو خير الماكرين ، إذ ألقى سبحانه وتعالى شبهه عليه السلام على أحد الحواريين ورفع المسيح عليه السلام من روزنة في البيت إلى السماء وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه كما تقدم في الأثر الصحيح المروى عن سيدنا عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – (3) ومن ثم باء اليهود بالإثم العظيم بنيتهم أنهم صلبوا رسول الله عليه السلام ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا . وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ فأضاف الله عز وجل هذا القول إليهم وذمهم عليه

---

(1) " صراع النهاية " ص٦٥ .

(2) الآيتان ٥٤ ، ٥٥ من سورة آل عمران .

(3) في ص ٧ .

ولم يذكر النصارى لأن الذين تولوا صلب المصلوب المشبه به هم اليهود (١) .

كما نفى الله ﷻ عن المسيح عليه السلام القتل فى هذا النص وفى قوله بعده مباشرة : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ ثم بين الله ﷻ أنه رفعه إليه حياً فقال: ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ كما نفى الله تعالى عنه عليه السلام الصلب والقتل فى قوله: ﴿ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (٢)

كما نفى المسيح عليه السلام عن نفسه ذلك حيث قال فيما أنزله الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٣)

ومن هنا اختلف علماء السلف الصالح – رحمهم الله جميعاً – فى تفسير هذه الآية وفى معنى التوفى أو الوفاة إلى الأقوال الآتية :

القول الأول : أن لفظ التوفى فى لغة العرب معناه الاستيفاء والقبض ، يقال : وفانى فلان دراهمى وأوفانى وتوفيتها منه ، كما يقال : سلم فلان دراهمى إلى وتسلمتها منه ، فهو اسم مأخوذ من استيفاء العدد واستيفاء الشئ أن تستقصيه ، يقال : توفيت واستوفيت كما يقال : تثبت واستثبت ، والوفاة اسم للموت لأنه يكون عند استيفاء العمر ، وأنشد أبو عبيدة :

إن بنى الأدرد (٤) ليسوا من أحد

ليسوا إلى قيس وليسوا من أسد

ولا توفاهم قريش فى العدد (٥)

أى : لا تجعلهم وفاءً لعددها والوفاء التمام ، أى أخذ الشئ تاماً ووافياً (٦)

والتوفى فى القرآن الكريم على ثلاثة أوجه :

أحدها : قبض الأرواح بالموت ، ومنه فى النساء (٧) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ ، وفى النحل (٨) :

(١) " دقائق التفسير " لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢ / ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) فى الآية ٥٥ من سورة آل عمران .

(٣) من الآية ١١٧ فى سورة المائدة .

(٤) أى قبيلة من القبائل .

(٥) هذا الرجز لمنظور الوبرى كما فى " اللسان " جزء ١٥ / ٤٠٠ والمعنى : أن قريشاً لا تجعلهم تمام عددهم ولا تستوفى بهم عددهم .

(٦) " زاد المسير فى علم التفسير " ١ / ٣٩٦ ، " قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم " للإمام ابن الجوزى ص٨٤ ، " مفاتيح الغيب " للإمام الرازى م ٤ / ج٨ / ص٧٦ فى الوجه الثامن ، دقائق التفسير " ٢ / ٩٦ بتصرف فى النقل من هذه المراجع .

(٧) فى الآية ٩٧ .

(٨) من الآية ٢٨ .

﴿ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ وفى تنزيل السجدة (١) ﴿ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ ﴾ وفى المؤمن (٢) : ﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ .

والثانى : قبض الحس بالنوم ، ومنه فى الأنعام (٣) : ﴿ يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ ﴾ وفى الزمر (٤) ﴿ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾

والثالث : الرفع إلى السماء ، ومنه فى آل عمران (٥) : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ وفى المائدة (٦) ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ ، وبناء على ذلك يكون معنى ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ : أى قابضك من الأرض ورافعك إلى السماء بجسدك وروحك من غير موت ولا نوم لتستوفى من الحياة هناك ، مثل : توفيت مالى من فلان ، أى : قبضته ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ : أى قبضتنى ورفعتنى إلى السماء وأنا حى ؛ لأن قومه عليه السلام إنما تنصروا بعد رفعه إلى السماء ، لا بعد موته .

فعلى هذا يكون معنى توفى سيدنا عيسى له تأويلان :

التأويل الأول : إنى مستلمك ، من قولهم:توفيت منه كذا أى : تسلمته .

والتأويل الآخر : إنى رافعك إلى وافياً بروحك وبدنك لم ينالوا منك شيئاً ، من قولهم : توفيت كذا واستوفيته إذا أخذته تاماً (٧) ، ولما علم الله أن من الناس من يخطر بباله أن الذى رفعه الله هو روحه لا جسده ذكر هذا الكلام ؛ ليدل على أنه عليه الصلاة والسلام رفع بتمامه إلى السماء بروحه وجسده فعلى كلا الاحتمالين كان إخراجه من الأرض وإصعاده إلى السماء توفياً له .

فإن قيل : فعلى هذا الوجه كان التوفي عين الرفع إليه فيصير قوله { وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } تكراراً ؟

قلنا : قوله { إِنِّي مُتَوَفِّيكَ } يدل على حصول التوفي وهو جنس تحته أنواع بعضها بالموت وبعضها بالإصعاد إلى السماء ، فلما قال بعده { وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } كان هذا تعييناً للنوع ولم يكن تكراراً (٨) ، بل هو كالتفسير لما قبله ولا تقديم ولا تأخير فى الآية الكريمة ، ومعنى ورافعك

(١) فى الآية ١١ .

(٢) من الآية ٧٧ .

(٣) من الآية ٦٠ .

(٤) فى الآية ٤١ .

(٥) من الآية ٥٥ .

(٦) فى الآية ١١٧ .

(٧) " معالم التنزيل " للإمام البغوى ٢ / ٤٥ بتصرف

(٨) " تفسير الرازى " م ٤ / ٨ / ٧٦ بتصرف .

إلى : أى ورافعك إلى محل كرامتى فى السماء فالعطف للتفسير ، وهذا أرجح الأقوال وأصحها على الإطلاق ، وهو قول الجمهور ، فقد قال به : الإمام الحسن ، وابن جريج ، وابن زيد ، والكلبى ، والضحاك ، ومطر الوراق ، ومحمد ابن جعفر بن الزبير ، وابن قتيبة ، والفراء [١] ، كما رجحه كثير من المفسرين قديماً وحديثاً ، منهم على سبيل المثال : الإمام الطبرى [٢] والقرطبى [٣] والشوكانى [٤] وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى [٥] .

ويدل على صحة هذا القول على الإطلاق ما يلى :

أولا : الرواية الصحيحة عن سيدنا عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – فى صفة رفع المسيح عليه السلام ، وقد تقدم ذكرها [٦] .

ثانيا : أن قوله – تعالى – فى سورة النساء { وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ } يفيد أن الرفع كان بجسم عيسى وروحه لأن الإضراب مقابل للقتل وللصلب الذى أرادوه وزعموا حصوله ، ولا يصح مقابلا لهما رفعه بالروح لأن الرفع بالروح يجوز أن يجتمع معهما وما دام الرفع بالروح لا يصح مقابلا لهما إذن يكون المتعين أن المقابل لهما هو الرفع بالجسد والروح [٧] .

ثالثا : أن هذا القول هو قول جمهور العلماء ، وهو القول الذى يتناسب مع ما أكرم الله – تعالى – به عيسى عليه السلام من كرامات ومعجزات .

قال بعض العلماء ما ملخصه :

وجمهور العلماء على أن عيسى رفع حيا من غير موت ولا غفوة بجسده وروحه إلى السماء ، والخصوصية له عليه السلام هى فى رفعه بجسده ، وبقاؤه فيها إلى الأمد المقدر له ولا يصح أن يحمل التوفى على الإماتة لأن إماتة عيسى فى وقت حصار أعدائه ليس فيها ما يسوغ الامتنان بها ورفعه إلى السماء جثة هامدة سخف من القول ، وقد نزه الله السماء أن تكون قبورا لجثث الموتى ، وإن كان الرفع

---

[١]) يراجع قول هؤلاء الأئمة فى كتب التفسير ، كتفسير الطبرى ٥ / ٤٤٨ – ٤٥٠ والقرطبى ٢ / ١٣٤٢ والبغوى ٢ / ٤٥ والألوسى ٣ / ١٧٩ والشوكانى ١ / ٥٢٠ وابن الجوزى ١ / ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

[٢]) فى تفسيره ٥ / ٤٥١ .

[٣]) فى تفسيره ٢ / ١٣٤٢ .

[٤]) فى تفسيره ١ / ٥٢٠ .

[٥]) فى تفسيره " الوسيط " ١ / ٦٢٤ .

[٦]) فى ص ٧ .

[٧]) " التفسير الوسيط " ١ / ٦٢٥ .

القول الثانى من أقوال العلماء فى معنى الوفاة : يفسر أصحابه الوفاة فى الآية الكريمة بالموت الحقيقى ، فيقولون : قوله تعالى : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ على التقديم والتأخير ؛ لأن الواو لا تقتضى الترتيب ، إنما تقتضى جمع الأمرين لسيدنا عيسى عليه السلام والأصل : إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد أن تنزل من السماء ، لأنه عليه السلام رفع إلى السماء ثم يتوفى بعد نزوله منها ، ومثله من التقديم والتأخير كثير فى القرآن الكريم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [٢] والتقدير : ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما .

قال الشاعر :

الا يا نخلة من ذات عرق **** عليك ورحمة الله السلام

أي عليك السلام ورحمة الله [٣] .

فتكون الفائدة فى إعلامه عليه السلام بالتوفى تعريفه أن رفعه إلى السماء لا يمنع من موته [٤] ، وهذا أحد تأويلات اقتضاها بالروح فقط فأى مزية لعيسى فى ذلك على سائر الأنبياء ؟ والسماء مستقر أرواحهم الطاهرة ، فالحق أنه عليه السلام رفع إلى السماء حيا بجسده ، وكما كان عليه السلام فى مبدأ خلقه آية للناس ومعجزة ظاهرة ، كان فى نهاية أمره آية ومعجزة باهرة والمعجزات بأسرها فوق قدرة البشرة ومدارك العقول ، وهى من متعلقات القدرة الإلهية ومن الأدلة على صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام [١] .

رابعا : أن هذا القول يجمع بين نصوص القرآن والسنة الصحيحة الدالة على وفاة سيدنا عيسى عليه السلام ورفعه حياً إلى السماء ، إذ أن الوفاة معناها قبضه عليه السلام بدناً وروحاً من غير موت إلى السماء ، وهذا هو معنى الرفع إلى السماء ، وإذا اختلفت الأقوال فى معنى الآية وجب المصير إلى القول الذى يوافق ظواهر الأدلة الأخرى جمعاً بين الأدلة ورداً للمتشابه منها وهو الوفاة – إذ أنها تحتمل ثلاثة معان كما سبق – إلى المحكم وهو الرفع كما هو شأن الراسخين فى العلم دون أهل الزيغ الذين يتبعون ما تشابه من التنزيل ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، اللهم قنا شرهم يا رب العالمين .

---

[٢]) الآية ١٢٩ فى سورة طه .

[٣]) " تفسير القرطبى ٢ / ١٣٤١ ، ١٣٤٢ .

[٤]) " تفسير ابن الجوزى " ١ / ٣٩٧ .

[١]) " التفسير الوسيط " نفس الموضع السابق .

مخالفة ظاهر الآية للمشهور المصرح به فى قوله ﷻ : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ وفى قول الرسول ﷺ : " إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة " ، وهذا الرأى قال به جماعة من أهل المعانى ، منهم : الإمام قتادة والضحاك والفراء والزجاج وأبو البقاء (1) وهو صحيح له وجاهته ، لكن القول الأول أصح منه ، لاسيما وأن ما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إلى تقدير ، لذا فإن القول الأول هو الرأى عندى والله أعلم.

القول الثالث: يفسر القائلون به " الوفاة " فى الآية الكريمة بالوفاة الصغرى وهى النوم كما فى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ﴾ (2) وقوله سبحانه : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ (3) ، وقول النبى ﷺ إذا استيقظ من منامه : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ

1) يراجع قول هؤلاء العلماء فى المرجعين السابقين فى نفس الموضعين وفى غيرهما من كتب التفسير كتفسير ابن كثير ٣ / ٦٩ والرازى م٤ / ٨ / ٧٦ ، ٧٧ .

2) فى الآية ٦٠ من سورة الأنعام.

3) من الآية ٤٢ فى سورة الزمر.

النُّشُورُ » (4) ، لا سيما وأنهما أخوان ويطلق كل منهما على الآخر ، فقد سئل النبى ﷺ : " أفى الجنة نوم ؟ " قال ﷺ : " لا ، النوم أخو الموت ، والجنة لا موت فيها " وعلى ذلك فمعنى قوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ أى ألقى الله ﷻ على المسيح عليه السلام سنة من النوم ، وهذه هى الوفاة الصغرى ، ثم رفعه إليه ، ثم ينزله فى الوقت الذى يشاء ، وهذا الرأى قال به كثير من الأئمة ، وعلى رأسهم الربيع بن أنس والحسن البصرى – رحمهما الله تعالى – (5) ، وهو رأى صحيح وجيه ، لاسيما وأن الاختلاف بين الأقوال الثلاثة اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، فالجمع بينها سهل وميسور ، يقال فيه : أن الله ﷻ قبض نبيه عيسى عليه السلام حياً ببدنه وروحه من الأرض إلى السماء بعدما ألقى عليه ﷻ سنة من النوم ، ثم ينزله إلى الأرض مرة أخرى فى الوقت الذى أراده ﷻ ، ثم يميته

4) رواه البخارى فى صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه / ك الدعوات / ب " ما يقول إذا نام " ٤ / ١٥٥ / ح رقم ٦٣١٢

5) يراجع قول هؤلاء الأئمة فى كتب التفسير ، ومنها : تفسير الطبرى ٥ / ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، وابن كثير ٣ / ٦٩ ، ٧٠ ، والقرطبى ٢ / ١٣٤٢ ، والبغوى ٢ / ٤٥ ، والآلوسى ٣ / ١٧٩ ، والشوكانى ١ / ٥٢٠ ، والرازى م٤ / ٨ / ٧٥ .

فيها ، لاسيما وأن مرد البشر بعد موتهم دفنهم فيها كما قال ربنا ﷻ : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (1) . هذا وقد ذكر بعض المفسرين أقوالاً أخرى للعلماء فى معنى " الوفاة " وفى تفسير الآية الكريمة سأضرب عنها الذكر صفحاً ؛ لضعفها وخشية الإطالة ، ثم أقول فى تفسير الآية الكريمة : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ : أى قابضك من الأرض حياً ورافعك إلى محل كرامتى فى السماء ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من اليهود والنصارى بإبعادك عن ساحة مجتمعهم الذى تدنس بكفرهم وشرهم وفسادهم ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ ﴾ من النصارى فيما جئت به من الإسلام والإيمان والإحسان ﴿ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ وقد أنجز الله ﷻ ذلك فكان النصارى المنتسبين للمسيح عليه السلام لم يزالوا قاهرين لليهود لكون النصارى أقرب إلى اتباع المسيح منهم حتى بعث الله سيدنا محمد ﷺ فكان أهل الإسلام هم المتبعين للمسيح حقيقة ، فأعزهم الله ونصرهم على الكافرين من اليهود والنصارى

1) الآية ٥٥ من سورة طه.

وغيرهم ، لكن يحدث فى بعض الأزمنة – كما هو واقع اليوم – إدالة الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم على المسلمين حكمة من الله ﷻ وعقوبة على تهاونهم فى اتباع المنهج الربانى الإسلامى ، ثم إليه ﷻ مصير الخلائق كلها كما قال ﷻ : ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ .

الدليل الثالث من أدلة عدم قتل المسيح وصلبه : استدل الجمهور على رفع المسيح حياً بجسده وروحه إلى السماء وعلى وجوده الآن فى السماء الثانية وعلى نزوله منها آخر الزمان بروحه وجسده بالأحاديث والآثار الصحيحة المتواترة تواتراً معنوياً ، والحديث المتواتر تواتراً معنوياً عند جمهور العلماء يفيد العلم القطعى ، ومن ثم فإن العلم به واجب والعمل به فرض لازم ، فقد وردت أحاديث وآثار كثيرة فى نزول المسيح عليه السلام آخر الزمان من السماء ، وقد أوصلها بعض العلماء (2) إلى ثمانية وستين حديثاً ، وقد وصلت إلى حد

2) منهم فضيلة الشيخ / محمد عبد القادر عطا حيث ذكر هذه الأحاديث فى ملحق وضعه فى نهاية كتاب " نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان " للإمام السيوطى ، والذى قام الشيخ بتحقيقه ، تراجع هذه الأحاديث فى الملحق ص٦١ – ٨٦ .

التواتر المعنوى ، ومعظمها واردة فى البخارى ومسلم ومروية من طريق ثمانية وعشرين صحابيا ، منها ما تواتر من رواية سيدنا أبى هريرة وابن عباس وابن مسعود وعثمان ابن أبى العاص وأبى أمامة والنواس بن سمعان وحذيفة بن أسيد الغفارى رضى الله عنهم وعن سائر أصحاب النبى ﷺ ، يقول الإمام ابن كثير – رحمه الله – عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ يقول : (المقصود من سياق الآي تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه ، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك ، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك ، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ، ثم إنه رفعه إليه ، وأنه باق حي ، وأنه سينزل قبل يوم القيامة ، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة)[1] ، ثم ذكر الحافظ ابن كثير – رحمه الله – جملة من هذه الأحاديث[2] .

ويقول الإمام ابن عطية – رحمه الله – : (وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى عليه السلام في السماء حي ، وأنه ينزل في آخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل الدجال ويفيض العدل ويظهر هذه الملة ملة محمد ويحج البيت ويعتمر ، ويبقى في الأرض أربعين سنة ، ثم يميته الله تعالى)[3]

والذي يعنينا من هذه الأحاديث والآثار ما يلي:

أولا : الأثر الصحيح عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما والذى تقدم[4] فى صفة رفع المسيح عليه السلام وقد جاء فيه: " ورفع عيسى من روزنة فى البيت إلى السماء " فهذا نص صريح فى رفعه عليه السلام حياً إلى السماء .

ثانيا : حديث المعراج الذى رواه سيدنا مالك بن صعصعة رضي الله عنه عن النبى ﷺ وجاء فيه : " ..... ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَفَتَحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ ، إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى ، وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ ، قَالَ : هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا ، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا ، ثُمَّ قَالَا : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ "[1] ؟

(١) " تفسير القرآن العظيم " ٤ / ٣٤٤ ، ٣٤٥ بتصرف يسير .
(٢) المرجع السابق ٤ / ٣٤٦ – ٣٦٧ .
(٣) " تفسير ابن عطية " ١ / ٤٢٩ .
(٤) فى ص ٧ .

فهذا نص صريح فى رؤية النبى ﷺ فى رحلة المعراج لسيدنا عيسى عليه السلام فى السماء الثانية ، وسلامه ﷺ عليه ، ورده عليه السلام السلام على النبى ﷺ وهذا يدل على وجوده فى السماء الثانية بعد رفعه حياً ببدنه وروحه .

وبذلك يكون المسيح عليه السلام قد خرج عن حال أهل الأرض فى الأكل والشرب واللباس والنوم والغائط والبول ونحو ذلك ، وهو فى السماء الثانية إلى أن ينزل إلى الأرض ليست حاله كحالة أهل الأرض[2] .

ولا يجوز لذى حجر أن ينكر رفع المسيح عليه السلام ووجوده فى السماء الثانية بحجة أن المعراج واجتماع النبى ﷺ بالأنبياء عليهم السلام لا سيما سيدنا يحيى وعيسى – كان اجتماعاً روحياً لا جسمانياً – أى رؤية منامية فقط – فإن الله عز وجل قال : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[3]

ومن هنا اعتقد السلف الصالح رضي الله عنهم أن الإسراء والمعراج كان بجسد النبى ﷺ وروحه يقظة لا مناماً ، فلم ينكر ذلك من يقدسون العقل ؟!

ينكرون ذلك لعنصر الزمن فيستبعدون أن يقطع النبى ﷺ هذه المسافة التى يقطعها الناس فى شهور فى لحظات ؟! ومن ثم بدأ الله عز وجل الآية بقوله : ﴿ سُبْحَانَ ﴾ تنزيها لأفعاله وأسمائه وصفاته عز وجل ، أى إذا كان الفعل من الله سبحانه وتعالى فنزهوا فعل الله عن فعلكم ونزهوا صفات الله عن صفاتكم ونزهوا قول الله عن قولكم .

﴿ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ فلفظ العبد لغة يطلق على الإنسان روحاً وبدناً ولا يطلق على روحه فقط دون بدنه ، فلذا لا يعدل عن هذا الظاهر وعن تلك الحقيقة إلى التأويل إلا عند وجود نص أو قرينة تدل على أن الظاهر غير مراد ، إذ لو

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه / ك " مناقب الأنصار " / ب " المعراج " ٣ / ٦٣ ، ٦٤ جزء حديث برقم ٣٨٨٧ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه / ك " الإيمان " / ب " الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات " / جزء حديث ٢ / ٢١٢ بشرح الإمام النووى .
(٢) " دقائق التفسير " ٢ / ٩٦ بتصرف .
(٣) الآية ١ من سورة الإسراء .

كان مناماً لقال بروح عبده ولم يقل بعبده فالصحيح إذاً أنه إسراء ومعراج بالروح والجسد فى القصة كلها وعليه تدل هذه الآية الكريمة ، كما يدل عليه قوله تعالى فى آية أخرى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾[1] .

ثم يدل عليه أيضاً صحيح الأخبار ، ثم الاعتبار ، إذ لو كان مناماً لما كان فيه آية ومعجزة ، ولما استبعده المشركون ، ولا كذبوه فيه ، ولا ارتد به ضعفاء المسلمين وافتتنوا به ، حيث إن فعل هذا فى المنامات لا ينكر ، بل لم يحدث ذلك منهم إلا لعلمهم أن خبره هذا ﷺ إنما كان عن روحه وجسمه فى حال يقظته ، ومن الأخبار والأحاديث التى تدل على أنه كان يقظة حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما – أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " لما كذبنى قريش قمت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه "[2] فلو أنه أنبأهم بأنها رؤية منامية رآها لما اختبروه بالسؤال عن علامات بيت المقدس ، ثم إن إجابته ﷺ لهم معجزة ثانية له عليه الصلاة والسلام .

ثالثاً : حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِى إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، قَالَ : فَتَذَاكَرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ لاَ عِلْمَ لِى بِهَا فَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى مُوسَى فَقَالَ : لاَ عِلْمَ لِى بِهَا فَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى عِيسَى فَقَالَ أَمَّا وَجْبَتُهَا فَلاَ يَعْلَمُهَا أَحَدٌ إِلاَّ اللَّهُ ذَلِكَ وَفِيمَا عَهِدَ إِلَىَّ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ قَالَ وَمَعِى قَضِيبَيْنِ فَإِذَا رَآنِى ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ قَالَ : فَيُهْلِكُهُ اللَّهُ حَتَّى إِنَّ الْحَجَرَ وَالشَّجَرَ لَيَقُولُ يَا مُسْلِمُ إِنَّ تَحْتِى كَافِراً فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ قَالَ : فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلاَدِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ ، قَالَ : فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَطَئُونَ بِلاَدَهُمْ لاَ يَأْتُونَ عَلَى شَىْءٍ إِلاَّ أَهْلَكُوهُ وَلاَ يَمُرُّونَ عَلَى مَاءٍ إِلاَّ شَرِبُوهُ ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَىَّ فَيَشْكُونَهُمْ فَأَدْعُو اللَّهَ عَلَيْهِمْ فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ وَيُمِيتُهُمْ حَتَّى تَجْوَى الأَرْضُ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِمْ قَالَ : فَيُنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَطَرَ فَتَجْرُفُ أَجْسَادَهُمْ حَتَّى يَقْذِفَهُمْ فِى الْبَحْرِ قَالَ : « فَفِيمَا عَهِدَ إِلَىَّ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّ السَّاعَةَ كَالْحَامِلِ الْمُتِمِّ الَّتِى لاَ يَدْرِى أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَؤُهُمْ بِوِلاَدِهَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً »[3] .

---

[1]) الآية ١٧ فى سورة النجم .

[2]) رواه البخارى فى صحيحه / ك " مناقب الأنصار " / ب حديث الإسراء وقول الله تعالى " سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى " ٣ / ٦٣ / ح رقم ٣٨٨٦ .

[3]) رواه الإمام أحمد فى مسنده ٣ / ٤٨٤ ، ٤٨٥ / ح رقم ٣٥٥٦ وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر رحمه الله – ورواه الحاكم بلفظ مقارب فى المستدرك / ك التفسير / ب تفسير سورة الأنبياء ٢ / ٤٥٢ / ح

وعن سيدنا أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَدْلاً ، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْراً مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا »[1]

فظاهر هذا الحديث وما قبله وما ماثلهما من الأحاديث والآثار الصحيحة فى شأن نزول المسيح عليه السلام يفيد أن نزوله يكون بروحه وجسده كما رفعه الله عز وجل إلى السماء بروحه وجسده .

وهكذا يتقرر مما سبق ذكره أن الله عز وجل قبض المسيح عليه السلام من الأرض ورفعه إليه حياً وأنه الآن فى السماء الثانية وسينزل آخر الزمان ليخلص المسجد الأقصى من اليهود بقتله الدجال ، ثم يحكم بشريعة سيد الرجال – عليه الصلاة والسلام – ثم يقوم بباقى الأعمال التى ينزل من أجلها ، ثم يموت الموتة التى كتبها الله على كل إنسان ، فلم يجمع الله – تعالى – له بين موتتين ، وهذا دليل على أنه رفع إلى السماء حياً لا ميتاً وأنه سينزل منها كذلك ، لكن هناك أحداث جسام تمهد لنزوله عليه السلام ، أذكر أهمها فى المبحث التالى :

رقم ٣٥٠٥ وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)ووافقه الذهبى فى التلخيص ، كما رواه ابن ماجة بلفظ مقارب فى سننه / ك الفتن / ب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج ٢ / ١٣٦٥ / ح رقم ٤٠٨١ ، وقال محققه الأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقى : (فى الزوائد – أى مجمع الزوائد – : هذا اسناد صحيح رجاله ثقات) .

[1]) رواه البخارى فى صحيحه / ك أحاديث الأنبياء / ب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام / ٢ / ٤٩٠ / ح رقم ٣٤٤٨ ومعنى " ويضع الجزية " أى يرفع الجزية فلا يقبلها .

المبحث الثالث

أهم الأحداث التى تمهد لنزول المسيح عليه السلام آخر الزمان فى الوقت المحدد فى علم الرحمن

الحدث الأول : وقوع هدنة بين المسلمين والروم [1] :

روى البخارى وغيره من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ . . . . ثم ذكر النبى ﷺ منها : هدنة بين المسلمين وبين بنى الأصفر » [2] وفى لفظ رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة بسند صحيح عن النبى ﷺ قال :

« سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ فَتُنْصَرُونَ وَتَغْنَمُونَ وَتَسْلَمُونَ » [3] ، فقد دل هذا الحديث على وقوع هدنة بين المسلمين والروم وغزوهم لعدو آخر الله أعلم به ، ولم أقف على دليل يبين أن هذا يقع فى زمن المهدى المنتظر عليه السلام أو قبله ، لكن يظهر من الواقع المعاصر – والله أعلم – أن هذه الهدنة إلى الآن لم تقع حيث إن أمريكا مثلاً فى حرب مع المسلمين بالعراق لا فى صلح أو هدنة .

الحدث الثانى : قتال المسلمين والروم لعدو آخر مشترك كما جاء فى الحديث المذكور آنفاً : « فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ فَتُنْصَرُونَ وَتَغْنَمُونَ وَتَسْلَمُونَ » .

لكن السؤال هنا : من هذا العدو المشترك؟

الجواب : الله أعلم بمراد رسوله ﷺ إلا أن النصارى المعاصرين اليوم هم نظرة أخرى لهذه المعركة ، وبما أننا كمسلمين لسنا معنيين بما عليه النصارى من أساطير وأباطيل ، لذا فإننى أذكر نظرتهم هذه لنعلم الحق من الباطل ، فقد تقدم أن المسيح عليه السلام فى اعتقاد النصارى جالس الآن عن يمين الرب أبيه فى السماء – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً – وهو ينتظر إلى يوم الخلاص ليقضى بين الأحياء والأموات [4] بعد نزوله من السماء فى معركة " هرمجدون " [5] أو هرمجدو ،

١) " الروم أو بنو الأصفر " هم النصارى وعلى رأسهم أمريكا وأوربا .

٢) رواه البخارى فى صحيحه / ك الجزية والموادعة / ب ما يحذر من الغدر ٢ / ٤١٣ ، ٤١٤ / ح رقم ٣١٧٦ .

٣) رواه أبو داود فى سننه / ك الملاحم / ب ما يذكر من ملاحم الروم ٤ / ٣١٣ ، ٣١٤ / جزء من حديث برقم ٤٢٩٤ / ط دار ابن حزم ، وبهامشه كتاب معالم السنن للخطابى .

٤) ص١٠ .

٥) هذه الكلمة ليست من السنة النبوية وإنما هى كلمة عند النصارى وفى صحيح السنة الغنى عنها ، وستأتى الأحاديث النبوية الصحيحة لتبين ملاحم آخر الزمان فى الصفحات المقبلة .

وهى كلمة عبرية تتكون من مقطعين : المقطع الأول " هر " بمعنى جبل ، والمقطع الثانى " مجدون " أو " مجيدو " بمعنى سهل أو واد فى فلسطين ، ففى سفر الرؤيا [1] : (اجتمعت جيوش العالم كلها فى أرض تسمى هرمجدون) ، ومعركة " هرمجدون " من منظور نصرانى هى مجزرة بشرية هائلة أو حرب نووية يباد فيها معظم البشرية ، وسوف تقع بين قوى الشر من جانب ممثلة فى الشيطان وجنوده ، يعاونه – فى زعمهم – المسلمون وبعض الروس ، وبعض المنشقين على الكنيسة ، وبعض اليهود أيضاً ، وبين قوى الخير من جانب آخر ممثلة فى المسيح وقواته من الملائكة التى سترافقه فى عودته ، يعاونهم قوى الخير من البشر ومنها الشعب الأمريكى والشعب الإسرائيلى ، وسوف تباد فى هذه المعركة غالبية البشر ، وعقب نهاية المعركة بانتصار المسيح يقبض على الشيطان ويأسره ويسجنه ، وأثناء المعركة سوف يرفع الأبرار من النصارى المؤمنين بهذه العقيدة إلى السماء لمراقبة أحداثها من خلال السحاب ، ثم يعودون سالمين إلى الأرض ليعيشوا مع المسيح لمدة ألف سنة فى الفردوس الأرضى [2] وبنى على ذلك كله دعم إسرائيل والتمكين لها لأن ذلك يمهد الطريق ويسرع بعودة المسيح المرتقبة [3] .

الحدث الثالث : ظهور المهدى عليه السلام [4] :

وقد ثبت فى شأنه أحاديث كثيرة عن النبى ﷺ قد تواترت تواتراً معنوياً ، ومن ثم لا يجوز لمسلم أن ينكره ، وهو خليفة من المسلمين من آل بيت سيدنا رسول الله ﷺ من ولد سيدنا الحسن بن على ابن السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ فاسم المهدى كاسم النبى واسم أبيه كاسم أبى النبى ، فهو محمد أو أحمد بن عبد الله العلوى الفاطمى الحسنى ، فأحمد ابن عبد الله العلوى نسبة لسيدنا على رضي الله عنه ، والفاطمى نسبة إلى السيدة فاطمة رضي الله عنها والحسنى نسبة لسيدنا الحسن بن على بن فاطمة .

قال النبى ﷺ : « ينزل بأمتى فى آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء أشد منه ، حتى تضيق عنهم

١) فى الإصحاح السادس عشر .

٢) ينظر " خدعة هرمجدون " للدكتور / محمد بن إسماعيل المقدم ص٣٥ نقلاً عن كتاب " البعد الدينى فى الصراع العربى الإسرائيلى " ص٩٧ – ٩٩ ، وقد نشر هذا فى واشنطن بوست فى ٢١ أكتوبر ١٩٨٤م كما جاء فى كتاب " البعد الدينى فى السياسة الأمريكية " للدكتور / يوسف الحسن ص١٧٢ .

٣) " صراع النهاية بين مسيح الضلالة ومسيح الهداية " ص٧١ .

٤) وإذا ظهر المهدى خرج الدجال وإذا خرج الدجال نزل عيسى .

الأرض الرحبة ، وحتى يملأ الأرض جورا وظلما ، لا يجد المؤمن ملجأ يلتجئ إليه من الظلم ، فيبعث الله عز وجل رجلا من عترتي ، فيملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا ، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، لا تدخر الأرض من بذرها شيئا إلا أخرجته ، ولا السماء من قطرها شيئا إلا صبه الله عليهم مدرارا ، يعيش فيها سبع سنين أو ثمان أو تسع ، تتمنى الأحياء الأموات مما صنع الله عز وجل بأهل الأرض من خيره»[1] .

ومن الأحاديث التى ثبتت فى الصحيحين تشير إلى المهدى بوضوح ما رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ : « كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمِ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ»[2] .

وما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، قَالَ : فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَعَالَ صَلِّ لَنَا . فَيَقُولُ لَا . إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ »[3]

فهذا الإمام الذى يصلى سيدنا عيسى عليه السلام خلفه هو المهدى المنتظر بدليل قول النبى ﷺ فى رواية أخرى : « ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي تعال صل بنا فيقول لا إن بعضهم أمير بعض تكرمة الله لهذه الأمة »[4] فقد صرحت هذه الرواية باسم هذا الإمام وهو المهدى عليه السلام .

هذا وقد ذكر النبى ﷺ علامة أكيدة مميزة لظهور المهدى دون غيره من الكذابين حيث روى البخارى ومسلم واللفظ لمسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : « عَبِثَ [5] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَامِهِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ فَقَالَ « الْعَجَبُ أَنَّ

1) رواه الحاكم فى المستدرك / ك الفتن والملاحم / ٥٠ / ٦٣٣ / ح رقم ٨٥٠٤ ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ا . هـ .

2) رواه البخارى فى صحيحه ك أحاديث الأنبياء ب نزول عيسى ابن مريم – عليهما السلام – ٢ / ٤٩١ / ح رقم ٣٤٤٩ ، ومسلم فى صحيحه ك الإيمان / ب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ ١ / ١٣٥ / ح رقم ١٥٥

3) صحيح مسلم / ك الإيمان / ب نزول عيسى ابن مريم / ١ / ١٣٧ / ح رقم ١٥٦ .

4) رواه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وحسن إسناده الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – فى المنار المنيف ص١٤٧ / ح رقم ٣٣٨ .

5) أى تحرك جسمه الشريف وتحركت أطرافه .

نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ بِالْبَيْتِ [1] بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ [2] خُسِفَ بِهِمْ » فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ قَالَ « نَعَمْ فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ[3] وَالْمَجْبُورُ[4] وَابْنُ السَّبِيلِ يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ »[5] كما رواه الحاكم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج رجل يقال له : السفياني في عمق دمشق ، وعامة من يتبعه من كلب ، فيقتل حتى يبقر بطون النساء ، ويقتل الصبيان ، فتجمع لهم قيس فيقتلها حتى لا يمنع ذنب تلعة ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة فيبلغ السفياني ، فيبعث إليه جندا من جنده فيهزمهم فيسير إليه السفياني بمن معه حتى إذا صار ببيداء من الأرض خسف بهم ، فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم»[6] وفى رواية أخرى: « فلا يبقى إلا الشريد »[7] أى ينجو من الجيش رجل ليخبر عن خسف الله عز وجل بهذا الجيش ليشتهر وينتشر خبره وأمره ، وهذه هى العلامة الوحيدة المميزة لظهور المهدى عليه السلام ، فإذا ظهر هناك فى مكة رجل وأعلن عنه أنه المهدى وخرج جيش لقتاله وخسف بهم الأرض علم المسلمون أن هذا الرجل هو المهدى المنتظر عليه السلام[8] ، فيقبلون إليه من أنحاء الأرض ليعاهدوا الله معه على الجهاد فى سبيله عز وجل وعلى إعلاء كلمته سبحانه وتعالى لنيل إحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة ، ثم يحكم المهدى عليه السلام الأمة الإسلامية سبع سنين أو ثمان أو تسع كما تقدم سابقاً فى رواية الحاكم ، ثم ماذا يحدث فى

1) أى البيت الحرام بمكة المكرمة حفظها الله وسائر بلاد المسلمين من كل مكروه .

2) أى الصحراء .

3) هو المستبين لذلك القاصد له عمداً .

4) هو المكره على ذلك .

5) رواه البخارى فى صحيحه / ك البيوع / ب ما ذكر فى الأسواق / ٢ / ٩٤ / ح رقم ٢١١٨ ومسلم فى صحيحه / ك الفتن وأشراط الساعة / ب الخسف بالجيش الذى يؤم البيت ٤ / ٢٢١٠ / ح رقم ٢٨٨٤ .

6) رواه الحاكم فى المستدرك / ك الفتن والملاحم ٤ / ٦٩٢ / ح رقم ٨٦٥١ وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ا . هـ .

7) رواها الإمام مسلم فى صحيحه / ك الفتن وأشراط الساعة / ب الخسف بالجيش الذى يؤم البيت ٤ / ٢٢٠٩ / ح رقم ٢٨٨٣ .

8) وصفه النبى ﷺ بقوله : " المهدى منى أجلى الجبهة ، أقنى الأنف " ، رواه أبو داود فى سننه / ك المهدى ٤ / ٣٠٧ / ح رقم ٤٢٨٥ ومعنى قول النبى ﷺ : " أجلى الجبهة " أى واسع الجبهة حيث يقل الشعر عند جانبيها ، و " أقنى الأنف " : أى الأنف الذى له أرنبة دقيقة وهذا وصف يدل على حسن الصورة وجمال الخلقة

نهاية هذه السنوات ؟ هذا ما نعرفه فى العنصر التالى :

الحدث الرابع : الغزوات والملاحم التى يقوم بها المهدى فى نهاية حكمه للمسلمين :

وردت هذه المعارك فى أحاديث النبى ﷺ والتى منها قوله : « تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّهُ »[1] وقوله ﷺ لأصحابه : « سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِى الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِى الْبَحْرِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِى إِسْحَاقَ »[2] .

وتفصيل هذه الملاحم فيما يلى :

الغزوة الأولى :

يغزو المهدى والموحدون معه جيشاً مسلماً من الجزيرة العربية " فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ " كما قال النبى ﷺ ، حيث يهزم المهدى وأهل التوحيد هذا الجيش وتفتح الجزيرة العربية أبوابها كلها للمهدى والموحدين معه بإذن الله جل وعلا .

الغزوة الثانية :

يغزو المهدى وكتاب التوحيد معه جيشاً شيعياً مغالياً من فارس " إيران " حينما يعلم الإيرانيون أن الذى خرج بالحرم ليس المهدى الذى ينتظرونه فى سرداب ساموراء فيخرجون إليه جيشهم الشيعى فيهزمه المهدى بإذن الله العلى كما قال النبى ﷺ : " ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ " .

الغزوة الثالثة :

يغزو المهدى والموحدون الروم " فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ " كما قال النبى ﷺ .

سببها :

وقوع هدنة بين المسلمين والنصارى – الروم – حيث يصطلحون صلحاً آمناً فيغزون جميعاً عدواً آخر فينصرون عليه كما تقدم[3] ثم يقوم رجل نصرانى فيرفع الصليب ويقول غلب الصليب ، فيغضب رجل من المسلمين فيقتله ويكسر الصليب فيغضب النصارى لصليبهم فيغدرون فيجتمعون على المسلمين فى ثمانين فرقة كل فرقة اثنا عشر ألفاً فيكون مجموع جيشهم الذى حشدوه لهذه الملحمة

[1]) رواه مسلم فى صحيحه من حديث نافع بن عتبة / ك الفتن وأشراط الساعة / ب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال ٤ / ٢٢٢٥ / ح رقم ٢٩٠٠ .

[2]) رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه / ك الفتن وأشراط الساعة / ب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكانه ٤ / ٢٢٣٨ / جزء حديث برقم ٢٩٢٠ .

[3]) فى ص ٢٥ .

[٩٦٠] ألفاً فينزلون بمنطقة تسمى الأعماق وهى بالقرب من مدينة حلب فى سوريا بالشام فيخرج لهم المسلمون بقيادة المهدى من المدينة المنورة لملاقاتهم فى هذه الملحمة الكبرى فإذا بدأت انقسم المسلمون إلى ثلاث فئات ، فئة تنهزم وتفر وتولى الأدبار ، لا يتوب الله عليهم أبداً ، ولعل هؤلاء هم المنافقون المندسون فى الصفوف ، الذين لا يعيشون إلا فى الظل ، فإذا أشرقت عليهم شمس الابتلاء ولوا هاربين ، والفئة الثانية يستشهدون وهم أفضل الشهداء عند الله تعالى ، والفئة الثالثة ينتصرون ويفتح لهم فلا يفتنون أبداً[1] .

هذا هو ملخص هذه الملحمة وقد ذكر النبى ﷺ تفاصيلها حتى بين أرضها ونتيجتها ، فعن عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَىِ السَّاعَةِ ... ثم ذكر النبى ﷺ منها: هدنة تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِى الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً[2] تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا »[3] وفى لفظ رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة بسند صحيح عن النبى ﷺ قال : « سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ فَتُنْصَرُونَ وَتَغْنَمُونَ وَتَسْلَمُونَ ثُمَّ تَرْجِعُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِى تُلُولٍ[4] فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ فَيَقُولُ غَلَبَ الصَّلِيبُ فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَدُقُّهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ »[5] وفى لفظ رواه الإمام مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقَ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا »[6] فقد قال النبى ﷺ فى هذا الحديث : " فَإِذَا تَصَافُّوا " أى للقتال

[1]) " صراع النهاية " ص٢٠ بتصرف .

[2]) الغاية هى الراية وسميت الغاية بالراية لأنها غاية الجيش فإذا سقطت الراية ضاعت الغاية وهزم الجيش فسميت الراية لذلك بالغاية .

[3]) تقدم تخريجه فى ص ٢٥ .

[4]) مكان أخضر يتسم بالخضرة والمياه .

[5]) تقدم تخريجه فى ص ٢٥ .

[6]) رواه مسلم فى صحيحه / ك الفتن وأشراط الساعة / ب فى فتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم ٤ / ٢٢٢١ / جزء حديث برقم ٢٨٩٧ .

"قَالَت الرُّومُ" للمسلمين : "خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ" من هؤلاء ؟ هؤلاء من الروم أصلاً فيسلمون ويتركون جيش الروم من النصارى والأمريكيين والأوربيين ويقاتلون الروم مع المسلمين ، "فَإِذَا تَصَافُّوا" أى وقف الجيش الرومى والمسلمون للقتال قالت الروم للمسلمين : "خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ" أى اتركوا لنا هؤلاء الذين اسلموا وتركوا عقيدتنا "نُقَاتِلْهُمْ" أى نبدأ بقتالهم ، فيقول المسلمون "لاَ وَاللَّهِ لاَ نُخَلِّى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا" فيقتتلون فيقتل ثلث الجيش المسلم لا يتوب الله عليهم أبداً لأنهم خونة فروا من أرض المعركة ، ويستشهد ثلث هم أفضل الشهداء عند الله تعالى ويبقى ثلث فيفتح الله له ، بل فى رواية مسلم عن يسير بن جابر قال : « هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى قَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتِ السَّاعَةُ. قَالَ فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ إِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَقُومُ حَتَّى لاَ يُقْسَمَ مِيرَاثٌ وَلاَ يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ. ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا - وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ - فَقَالَ عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الإِسْلاَمِ قُلْتُ الرُّومَ تَعْنِى قَالَ نَعَمْ وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ » ، هذا هو الثلث الأول الذى ارتدا وانهزم وخان ، قال : « فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً » : أى يقدم المسلمون مجموعة من الكتائب وتشترط هذه الكتائب ألا ترجع إلا وهى غالبة ، قال : « فَيَقْتَتِلُونَ » أى المسلمون والروم « حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ فَيَفِىءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ فى اليوم التالى شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ فَيَفِىءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ فى اليوم الثالث شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا فَيَفِىءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ فَإِذَا كَانَ الْيَوْمُ الرَّابِعُ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الإِسْلاَمِ »أى نهض إليهم بقية أهل الإسلام« فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ » أى فيجعل الله الدائرة على الروم « فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً - إِمَّا قَالَ لاَ يُرَى مِثْلُهَا وَإِمَّا قَالَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا - حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا فَيَتَعَادُّ بَنُو الأَبِ كَانُوا مِائَةً فَلاَ يَجِدُونَ بَقِىَ مِنْهُمْ إِلاَّ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ فَبِأَىِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ

أَوْ أَىُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ » [1] وليس معنى هذا أن الروم يهلكون حتى لا يبقى منهم أحد ، بل تظل طائفة منهم حتى نزول المسيح عليه السلام فيضع عنهم الجزية ولا يقبل منهم إلا الإسلام كما تقدم فى حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه [2] وبالتالى ينتفى التعارض بين هذا الحديث وبين حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

الغزوة الرابعة:فتح القسطنطينية :

حيث إن الثلث الموحد الذى تبقى مع المهدى عليه السلام بما فيه من آمن من الروم بعد غزوهم للروم الكفرة يفتحوا مدينة القسطنطينية وهى التى تسمى اليوم اسطنبول ، وهذا يكون قبل خروج الدجال بقليل بغير قتال ، بل وبغير سلاح كما فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر ؟[3] قالوا : نعم يا رسول الله قال : لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بني إسحاق[4] فإذا جاؤها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم قالوا لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها ، قال ثور[5] : لا أعلمه إلا قال : الذي في البحر ثم يقولوا الثانية لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر ثم يقولوا الثالثة لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلوها فيغنموا فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ فقال إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون »[6].

وفى حديث سيدنا عبد الله بن مسعود المتقدم : « فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِى ذَرَارِيِّهِمْ فَيَرْفُضُونَ مَا فِى أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنِّى لأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ » .

الغزوة الخامسة :

قتل الدجال كما قال سيد الرجال ﷺ : « ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ

---

(1) رواه الإمام مسلم فى صحيحه / ك الفتن وأشراط الساعة ٤ / ٢٢٢٣ / جزء حديث برقم ٢٨٩٩ ، وبذلك تسقط دولة أمريكا وأوربا وغيرها من دول النصارى الكافرة الماكرة والله أعلم .

(2) ل ص ٢٣ ، ٢٤ .

(3) هى القسطنطينية

(4) هم من أسلموا من الروم وانضموا للثلث الموحد المسلم.

(5) هو أحد رواة هذا الحديث .

(6) رواه مسلم فى صحيحه / ك الفتن وأشراط الساعة / ب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكانه ٤ / ٢٢٣٨ / ح رقم ٢٩٢٠

اللَّه»[1] وفى هذه الغزوة ينزل سيدنا عيسى ﷺ من السماء ، وتفصيل هذا وغيره فى الصفحات الآتية :

الحدث الخامس : خروج الدجال :

قد دلت الأحاديث المتواترة على وجود الدجال وخروجه وأنه أعظم فتنة على وجه الأرض ومن ثم لا يجوز لمسلم إنكاره ، ومن الأحاديث التى ذكر النبى ﷺ فيها الدجال ووصفه قوله ﷺ : « إِنِّى لأُنْذِرُكُمُوهُ ، وَمَا مِنْ نَبِىٍّ إِلاَّ وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ ، وَلَكِنِّى سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ نَبِىٌّ لِقَوْمِهِ ، إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ »[2] وقوله ﷺ عنه :

« رَجُلٌ جَسِيمٌ أَحْمَرُ جَعْدُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ الْعَيْنِ ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ »[3] وقوله ﷺ :

« وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ »[4]

كما بين النبى ﷺ مكان وجوده الآن بأنه فى جزيرة من جزائر البحر لا يعلمها إلا الله وهو مأسور فيها حتى يخرج منها عند قرب قيام الساعة ، فقد روى مسلم وأبو داود والترمذى ، واللفظ لمسلم من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت :

« سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِى مُنَادِى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُنَادِى الصَّلاَةَ جَامِعَةً. فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكُنْتُ فِى صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِى تَلِى ظُهُورَ الْقَوْمِ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاَتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ « لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلاَّهُ ». ثُمَّ قَالَ « أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ » . قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

قَالَ « إِنِّى وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلاَ لِرَهْبَةٍ وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِىَّ كَانَ رَجُلاً نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ وَحَدَّثَنِى حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِى كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ حَدَّثَنِى أَنَّهُ رَكِبَ فِى سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلاَثِينَ رَجُلاً مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ[5] فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِى الْبَحْرِ ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِى الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ فَجَلَسُوا فِى أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لاَ يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ فَقَالُوا وَيْلَكِ مَا

[1] جزء من حديث تقدم تخريجه فى ص٢٩ .

[2] رواه البخارى فى صحيحه عن سيدنا عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – ك الفتن / ب ذكر الدجال / ٤ / ٣٢٥ / ح رقم ٧١٢٧ .

[3] رواه البخارى أيضاً فى صحيحه فى نفس الكتاب والباب ٤ / ٣٢٦ ، ٣٢٧ / جزء حديث برقم ٧١٢٨ .

[4] رواه البخارى كذلك فى نفس الكتاب والباب ٤ / ٣٢٦ / جزء حديث برقم ٧١٣١ .

[5] قبيلتان عربيتان مشهورتان .

أَنْتِ فَقَالَتْ أَنَا الْجَسَّاسَةُ ، قَالُوا وَمَا الْجَسَّاسَةُ قَالَتْ أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِى الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ. قَالَ لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلاً فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً – قَالَ – فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ قُلْنَا وَيْلَكَ مَنْ أَنْتَ قَالَ قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِى فَأَخْبِرُونِى مَنْ أَنْتُمْ قَالُوا نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِى سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ فَجَلَسْنَا فِى أَقْرُبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لاَ يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ فَقُلْنَا وَيْلَكِ مَا أَنْتِ فَقَالَتْ أَنَا الْجَسَّاسَةُ. قُلْنَا وَمَا الْجَسَّاسَةُ قَالَتِ اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِى الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا وَفَزِعْنَا مِنْهَا وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً فَقَالَ أَخْبِرُونِى عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ قُلْنَا عَنْ أَىِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ قَالَ أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ قُلْنَا لَهُ نَعَمْ. قَالَ أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لاَ يُثْمِرَ قَالَ أَخْبِرُونِى عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ. قُلْنَا عَنْ أَىِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ قَالَ هَلْ فِيهَا مَاءٌ قَالُوا هِىَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ. قَالَ أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ. قَالَ أَخْبِرُونِى عَنْ عَيْنِ زُغَرَ. قَالُوا عَنْ أَىِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ قَالَ هَلْ فِى الْعَيْنِ مَاءٌ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ قُلْنَا لَهُ نَعَمْ هِىَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا. قَالَ أَخْبِرُونِى عَنْ نَبِىِّ الأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ قَالُوا قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ. قَالَ أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ قُلْنَا نَعَمْ. قَالَ كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ قَالَ لَهُمْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ قُلْنَا نَعَمْ. قَالَ أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ وَإِنِّى مُخْبِرُكُمْ عَنِّى إِنِّى أَنَا الْمَسِيحُ وَإِنِّى أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِى فِى الْخُرُوجِ فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِى الأَرْضِ فَلاَ أَدَعَ قَرْيَةً إِلاَّ هَبَطْتُهَا فِى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَىَّ كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِى مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِى عَنْهَا وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلاَئِكَةً يَحْرُسُونَهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِى الْمِنْبَرِ « هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ ». يَعْنِى الْمَدِينَةَ « أَلاَ هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ ». فَقَالَ النَّاسُ نَعَمْ « فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِى حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِى كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ أَلاَ إِنَّهُ فِى بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ لاَ بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ

من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو ». وأومأ بيده إلى المشرق . قالت فحفظت هذا من رسول الله ﷺ »(١).

فقد دل هذا الحديث الشريف على أن الدجال موجود الآن فى دير فى جزيرة بحرية وهى التى دخلها سيدنا تميم الدارى ﷺ ومن معه ولا بد من الاكتفاء بذلك وبما صح عن النبى ﷺ فى شأن الدجال والحذر كل الحذر مما جاء فى بعض الكتب من أن الدجال موجود فى مثلث برمودا وغيرها كما فى كتاب " عمر أمة الإسلام " أو كتاب " حوار صحفى مع جنى مسلم " أو كتاب " الزلزال الأعظم " أو غيرها من الكتب التى تستعجل فى تنزيل أحاديث الفتن بل والرجم بالغيب بأقل المناسبات ، هذا وقد بين النبى ﷺ أن الدجال حينما يخرج يتبعه اليهود فقال: « يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة »(٤) وإنما يتبعونه لأنه ملكهم فى اعتقادهم حيث إن من العقائد الراسخة لدى الأمة الغضبية اليهود أنهم موعودون بملك منتظر من نسل داود ، يأتى ليقيم مملكة الرب كما يظنون ويتحول الناس إلى خدم لهم ويجمع لهم جميع ثروات الأرض ، وهذا الملك المنتظر لدى اليهود هو مسيح الشر والضلالة " الدجال " لأنه يهودى وسيتبعه اليهود فى فتنته وحروبه وهو المسمى فى كتبهم " الميسياه " ولأجل استحثاث خروج هذا الملك المنتظر يصلون صلوات ويدعون فيها بأدعية ، وخصصوا ليلة عيد الفصح اليهودى للمزيد من تلك الدعوات ، بل وبنوا على ذلك أن كل يهودى يعظم السبت ويصلى ويدعو ويحضر الفصح فسوف ينضم إلى مملكة الميسياه " وينجوا من انتقامه الذى سيتزله بشعوب الأرض جميعاً (٣) ففى التلمود : (لما يأتى المسيح تطرح الأرض فطيراً وملابس من صوف وقمح حبه بقدر كلاوى الثيران الكبيرة وفى ذلك الزمان ترجع السلطة لليهود وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له وفى ذلك الوقت يكون لكل يهودى ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه ، وثلثمائة وعشرة أكوان تحت سلطته . . . ولكن لا يأتى المسيح إلا بعد انقضاء حكم الأشرار . . . ويتحقق منتظر الأمة اليهودية بمجئ

١) رواه مسلم فى صحيحه / ك الفتن وأشراط الساعة / ب قصة الجساسة ٤ / ٢٢٦١ / ح رقم ٢٩٤٢ .

٢) رواه مسلم فى صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ ك الفتن وأشراط الساعة / ب فى بقية من أحاديث الدجال ٤ / ٢٢٦٦ / ح رقم ٢٩٤٤ ، و" الطيالسة " جمع طيلسان وهو أعجمى معرب وهو ثوب منسوج خال من التفصيل والخياطة يلبس على الكتف فيحيط بالبدن والله أعلم .

٣) " صراع النهاية " ص٢٥

إسرائيل وتكون تلك الأمة هى المتسلطة على باقى الأمم عند مجيئه)(١).

ولا يزال اليهود ينتظرون مسيحهم الذى يجعل بالقوة من أورشليم محور العالم ويرعى الشعوب بقضيب موسى وهم يستندون فى ذلك إلى ما جاء فى إشعياء(٢) من نبوءة دخلها التحريف الموجه فى لفظها ومعناها ويعدد التلمود ثلاث كوارث ستحل بالعالم حينما يجئ " الميسياه " ففى التلمود : (وكل من يأكل ثلاث وقعات فى يوم السبت سوف ينجو من ثلاث فواجع : من انتقام الميسياه ومن قصاص جهنم ومن حرب الماغوج)(٣).

ومن هنا يتبعونه ويسيرون خلفه فيمكث فى الأرض أربعين يوماً يعسوا فيها فساداً وفتناً كما فى الحديث الذى رواه الإمام مسلم وأبو داود والترمذى واللفظ لمسلم من حديث النواس بن سمعان ﷺ عن النبى ﷺ : « غير الدجال أخوفنى عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافئة كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً يا عباد الله فاثبتوا ». قلنا يا رسول الله وما لبثه فى الأرض قال « أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم ». قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال « لا اقدروا له قدره ». قلنا يا رسول الله وما إسراعه فى الأرض قال « كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شىء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم »(٤) أى لقتل الدجال والتفصيل فى المبحث الرابع .

١) " الكنز المرصود فى قواعد التلمود " ترجمة يوسف نصر الله ص٧٠ ، ٧١ .

٢) سفر من العهد القديم ١١ / ١ ، ٦ .

٣) " فضح التلمود " للأب آى . بى برانايتس ص١٤٩ .

٤) رواه مسلم فى صحيحه / ك الفتن وأشراط الساعة / ب ذكر الدجال وصفته وما معه ٤ / ٢٢٥٠ / جزء حديث برقم ٢٩٣٧ .

المبحث الرابع

نزول سيدنا عيسى عليه السلام وقتله للدجال وخلاصه للمسجد الأقصى من اليهود :

أولاً : عقيدة السلف الصالح والمسلمين الكرام نزول المسيح عليه السلام آخر الزمان :

من العقائد الراسخة عند السلف الصالح – رضوان الله عليهم – نزول المسيح عليه السلام من السماء إلى الأرض وعودته مرة أخرى لقيامه بأعمال عظام ومهام جسام كما تقدم طرف من الحديث عن ذلك مع ذكر الأدلة عليه [١] وسيأتى طرف آخر من الحديث عن ذلك أيضاً فى ثنايا هذه الصفحات :

ثانياً : نزول المسيح عليه السلام علامة من علامات الساعة الكبرى :

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ . وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ . إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ . وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [٢] ، فقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾ [٣] جاء فى سياق الحديث عن سيدنا عيسى عليه السلام إذ أن ضمير " الهاء " فى " إنه " يعود على ابن مريم فى قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ﴾ .

وفى قراءة سيدنا عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – ومجاهد وقتادة والضحاك – رحمهم الله – : ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾ – بفتح العين – أى نزول عيسى أمارة وعلامة على قيام الساعة [٤] وكيف يكون سيدنا عيسى عليه السلام علامة للساعة ؟ لا يكون ذلك إلا أنه سينزل فى آخر الزمان ويكون نزوله آية عظمى وشرط من أشراط الساعة الكبرى المؤذنة بقرب حلولها ونزولها ، بل لقد روى الإمام الطبرى بسند صحيح عن عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – قال : ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾ أى خروج عيسى ابن مريم عليه السلام فإن نزل فهذه علامة

١) فى ص ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ .

٢) الآيات ٥٧ – ٦١ من سورة الزخرف .

٣) هذا من أعظم الأدلة القرآنية على نزول المسيح عليه السلام آخر الزمان .

٤) " جامع البيان " ٢٠ / ٦٣٢ ، ٦٣٤ بتصرف ، والصواب أن هذا تفسير للآية لا قراءة حيث إن القراءة الصحيحة المتواترة " لَعِلْمٌ " – بكسر العين – لإجماع الحجة من القراء عليها كما نص على ذلك ابن جرير – رحمه الله – فى تفسيره ٢٠ / ٦٣٤ ، أما قراءة الفتح فهى شاذة ومذكورة فى " مختصر شواذ القراءات " لابن خالويه ص١٣٦ ومن ثم ذكرتها من باب الاستئناس بها لا الاستشهاد والتدليل والله أعلم .

كبرى تدل على قرب قيام الساعة ، وهذا ما قال به جمهور المفسرين ومنهم الحسن البصرى ومجاهد وقتادة والسدى والضحاك وابن زيد [١] .

ثالثاً : فى ظلال حياة سيدنا عيسى عليه السلام على الأرض بعد نزوله من السماء :

كلام المسيح عليه السلام للناس كهلاً :

لا يكاد يذكر فى القرآن الكريم خبر سيدنا عيسى عليه السلام إلا ويذكر الله عز وجل عنه ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ [٢] ، فقد ذكر الله – تعالى – أمرين عجيبين وحديثين غريبين وآيتين باهرتين فى شخصية المسيح عليه السلام :

الأمر الأول : أنه نطق وتكلم فى المهد صبياً كما تقدم [٣] وهذا لا يقع إلا إعجازاً من الله عز وجل له عليه السلام فكلامه فى المهد آية والحاجة مقتضية لها لأن الشبهة قائمة والاتهام أمه واقع : كيف تلد امرأة غير ذات زوج ؟ وصرح اليهود بذلك كما قصه الله عنهم بقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [٤] فكان لا بد من هذا الإعجاز للبرهنة على براءتها فتكلم المسيح عليه السلام فى المهد على غير المعهود ، ولكن أى إعجاز فى كلامه كهلاً فكل الناس يتكلمون وهم مكتهلون والكهولة تجاوز الأربعين ووصول الخمسين والستين ، هل هذا عجيب أن يتكلم ابن الستين والسبعين ؟ فأى عجب وأى موضع إعجاز فى هذا الموضع أن يتكلم سيدنا عيسى عليه السلام فى كهولته ؟

هذا يدل على أنه كما كان كلامه فى المهد صبياً معجزاً ، فإنه سينزل ويكلم الناس فى أخريات الزمان مكتهلاً ليكون نزوله وكلامه أيضاً معجزاً ، وإلا لا إعجاز أن يتكلم ابن الستين والسبعين [٥] .

وجه الدلالة من قوله تعالى : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ من وجهين اثنين :

الوجه الأول : نص بعض علماء الإسلام كسعيد بن المسيب وزيد ابن أسلم وغيرهما على أن عيسى ابن مريم رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فى ريعان الشباب لم يصل إلى مرحلة الكهولة [٦] .

الوجه الثانى : وجه العجب والإعجاز ووجه الدلالة فى كلامه للناس وقت كهولته بعد رفعه ، رفعه عجب ،

١) ينظر أقوالهم فى " جامع البيان " ٢٠ / ٦٣١ – ٦٣٣ .

٢) فى الآية ٤٦ من سورة آل عمران ، وهذا من أعظم الأدلة على القرآنية على نزوله عليه السلام من السماء.

٣) فى ص ٥ .

٤) فى الآية ٢٨ من سورة مريم .

٥) " صراع النهاية بين مسيح الضلالة ومسيح الهداية " ص٦٧ ، ٦٨ بتصرف يسير .

٦) يراجع هذا القول فى تفسير العلامة الألوسى م٢٢ / ٣ / ١٦٤ ، وتفسير الإمام الرازى م٤ / ٨ / ٥٨ .

وسيزول ، ونزوله أيضاً عجب ، فيكلم الناس ويعيش بعد نزوله أربعين سنة ، أضف الأربعين إلى الثلاث والثلاثين وصل إلى الكهولة وتكلم فى الكهولة وكلم الناس كما كلمهم فى المهد ، وهذه إشارة صريحة وواضحة على أنه عليه السلام لا بد أن يستكمل دوره وينزل فى أخريات الزمان ليكلم الناس فى وقت كهولته كما كلمهم فى وقت صباه [1] .

وقد نص بعض السلف الصالح – رضوان الله عليهم – كسيدنا عبد الله بن عباس وعبد الرحمن ابن زيد على أن سيدنا عيسى عليه السلام : " قد كلمهم فى المهد وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل " [2] .

قتل المسيح عليه السلام للدجال وخلاصه للمسجد الأقصى من اليهود :

فبعد أن يسيح الدجال اليهودى فى الأرض أربعين يوماً فساداً وفتناً كما تقدم [3] ينتهى به المطاف فى فلسطين ومعه جيشه اليهودى المسلح ، ويحاصر القدس ويكون فيها فى ذلك الوقت بقايا المؤمنين بما فيهم المسلمين من الروم الذين شاركوا فى الملحمة الكبرى ضد النصارى الكافرين ، والذين رجعوا بعد فتحهم للقسطنطينية ولم يفرحوا بالغنيمة إذ بلغهم خبر خروج الدجال اليهودى كما تقدم [4] فيعودون ويتحصنون ببيت المقدس – المسجد الأقصى اليوم – مع إمامهم وقائدهم محمد بن عبد الله المهدى المنتظر ، فلما طال عليهم الحصار ونفد صبرهم علموا أنه لا بد لهم من مواجهته وحربه ، فيعدوا عدتهم ويجهزوا أنفسهم ، فبينما هم يسوون صفوفهم مستعدين لصلاة الفجر التى عزموا بعدها على الخروج لحرب الدجال إذ أكرمهم الله – تعالى – بنزول المسيح عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقى مدينة دمشق ، ثم ينضم إلى المؤمنين ببيت المقدس ويشهد معهم الصلاة مأموماً والمهدى إماماً ، فإذا فرغوا من صلاة الفجر خرجوا بإذن المسيح عيسى ابن مريم لقتال الدجال ، فحينما يرى الدجال اليهودى عيسى ابن مريم يذوب كما تذوب الشحمة خوفاً ويهرب فيلحقه المسيح عليه السلام فيدركه بباب لد [5] بفلسطين فيقتله ، ويرى المؤمنون دمه فى حربته ، فتقع المقتلة على اليهود فلا يبقى حجر ولا شجر إلا قال : يا عبد الله

---

[1]) " صراع النهاية " ص٦٨ .

[2]) يراجع هذا القول فى تفسير الإمام الطبرى ٥ / ٤١٤ ، وتفسير الإمام ابن الجوزى ١ / ٣٩٠ .

[3]) فى ص٣٧ .

[4]) فى ص ٣٣ .

[5]) اللد : بلدة فى فلسطين موجودة ومعروفة الآن .

يا مسلم هذا يهودى خلفى تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود [1] ، ويتخلص المسجد الأقصى منهم بقتل الدجال وينتهى شره وتطوى صفحته وتطوى معها صفحة اليهود وتسقط دولة إسرائيل بقيادة الدجال بعد أن طويت قبلهم صفحة النصارى – إلا المؤمنين – وشطبوا من الوجود فلا يبقى إلا الإسلام ، وبعد فراغ المسلمين من فتنة الدجال وجيشه اليهودى يعودوا إلى المسيح عليه السلام فيمسح على وجوههم ويدعوا لهم ويخبرهم بمنازلهم عند الله تعالى .

هذا ما سيقع فى المستقبل المعلوم عند الله عز وجل حقاً وصدقاً ووعداً من الله لا يخلف الله وعده ، ومن الأحاديث النبوية الدالة على ذلك حديث النواس ابن سمعان المتقدم [2]

وفيه قول النبى – صلى الله عليه وسلم – عن الدجال : « فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِىَّ دِمَشْقَ [3] بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ [4] وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِى حَيْثُ يَنْتَهِى طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِى الْجَنَّةِ » وفى حديث أبى هريرة رضي الله عنه المتقدم أيضاً [5] أن النبى ﷺ قال عن المسلمين والمهدى عليه السلام :

« وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِى أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ فَبَيْنَمَا هُمْ

---

[1]) هذه هى الغزوة الخامسة من غزوات المهدى التى قال عنها النبى ﷺ " ثم تغزون الدجال فيفتحه الله " كما تقدمت الإشارة إليها فى ص (٣٤) . وبهذا يتناسق البدء بالختام حيث إن سيدنا عيسى ولد قريباً من المسجد الأقصى كما تقدم فى ص (٥) معلناً عقيدة التوحيد ثم فى النهاية .. يخلص المسجد الأقصى من اليهود معلناً عنده عقيدة التوحيد أيضاً .

[2]) فى ص ٣٧ .

[3]) هذه المنارة لم تكن موجودة فى عهد النبى ﷺ واخباره عنها من الغيب الذى أطلعه الله عليه فهو معجزة له ﷺ إذ قد تحقق هذا فبنيت هذه المنارة حينما جدد بناء المسجد الدمشقى فى سوريا سنة ٧٤١ هـ فى عهد الإمام ابن كثير – رحمه الله – كما قال بذلك هو وغيره من المؤرخين المحققين .

[4]) وفى رواية أخرى : " بين ممصرتين " أى ثوبين مصبوغين بصفرة خفيفة يسيرة .

[5]) فى ص ٣١ .

يَعدُونَ للقتال يُسَوُّونَ الصُّفوفَ إذْ أُقيمتَ الصَّلاةُ فَينْزِلُ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ [1] فإذا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ » ، وفى حديث أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه الطويل فى شأن الدجال وفتنته : « فَقَالَتْ أُمُّ شَرِيك بِنْتُ أَبِى الْعَكَرِ [2] يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئذ قَالَ « هُمْ يَوْمَئذ قَلِيلٌ وَجُلُّهُمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّى بِهِمُ الصُّبْحَ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ فَرَجَعَ ذَلِكَ الإِمَامُ يَنْكُصُ يَمْشِى الْقَهْقَرَى لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى يُصَلِّى بِالنَّاسِ فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ تَقَدَّمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ. فَيُصَلِّى بِهِمْ إِمَامُهُمْ فَإِذَا انْصَرَفَ قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ افْتَحُوا الْبَابَ. فَيُفْتَحُ وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِىٍّ كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى وَسَاجٍ فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا وَيَقُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ إِنَّ لِى فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَسْبِقَنِى بِهَا. فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِىِّ فَيَقْتُلُهُ فَيَهْزِمُ اللهُ الْيَهُودَ فَلا يَبْقَى شَىْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِىٌّ إِلاَّ أَنْطَقَ اللهُ ذَلِكَ الشَّىْءَ لا حَجَرَ وَلا شَجَرَ وَلا حَائِطَ وَلا دَابَّةَ – إِلاَّ الْغَرْقَدَةَ فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ لا تَنْطِقُ – إِلاَّ قَالَ يَا عَبْدَ اللهِ الْمُسْلِمَ : هَذَا يَهُودِىٌّ فَتَعَالَ اقْتُلْهُ » [3] ، وهذا القتل الواقع على اليهود أيام نزول سيدنا عيسى عليه السلام وقتله لملكهم الدجال هو القتل المذكور فى الأحاديث المطلقة الأخرى كحديث أبى هريرة رضي الله عنه ان النبى ﷺ قال : « لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِىُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِىٌّ خَلْفِى فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ» [4].

---

[1]) أى أمهم فى القتال لا فى الصلاة كما دلت عليه الروايات الأخرى.

[2]) هى صحابية جليلة اسمها غزية بنت جابر الدوسية ، ينظر ترجمتها فى الإصابة للعلامة ابن حجر ٨ / ٢٤٩

[3]) أخرجه أبو داود وابن خزيمة وابن ماجة فى سننه ٢ / ١٣٥٩ / ح رقم ٤٠٧٧ مطولاً و واللفظ هنا له ، كما أخرجه الحاكم فى مستدركه ٤ / ٥٣٦ ، ٥٣٧ مختصراً وقال : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم " ووافقه الذهبى فى تلخيصه / ط دار المعرفة ببيروت .

[4]) رواه البخارى فى صحيحه / ك الجهاد والسير / ب / قتال اليهود ٢ / ٣٣٩ / ح رقم ٢٩٢٦ ، ومسلم فى صحيحه / ك الفتن وأشراط الساعة / ب لا تقوم

والظاهر أن الحجر والشجر ينطق حقيقة ولا مانع من هذا وما ليس على الله بعزيز لاسيما وأن قدرة الله سبحانه وتعالى تتدخل فى هذا الزمن لنصرة الإسلام . والله أعلم .

الخاتمة

نسأل الله حسنها

هذا ما وفقنى الله عز وجل فى إعداده حول موضوع " السيد المسيح عليه السلام فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة "

وقد توصلت فى نهايته إلى النتائج الآتية :

١- مجئ سيدنا عيسى عليه السلام بالإسلام وإعلانه لعقيدة التوحيد منذ ولادته .

٢- نجاة الله عز وجل لسيدنا عيسى عليه السلام من قتل اليهود برفعه إليه حيا بروحه وجسده .

٣- سيصطلح المسلمون مع النصارى آخر الزمان ويقاتلون عدواً آخراً الله أعلم به .

٤- دفاع الله عز وجل عن المسجد الأقصى بظهور المهدى ونزول المسيح ليخلصانه من اليهود بقيادة الدجال آخر الزمان ، وبهذا تتحقق سنة الله عز وجل فى خلقه بنصرة أوليائه وهزيمة أعدائه كما قال عز وجل : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ .

وفى ختام بحثى هذا أوصى بما يلى :

الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكانه ٤ / ٢٢٣٩ / ح رقم ٢٩٢٢ .

أولا : الاعتصام بالله عز وجل والاستعانة به وتصحيح العقيدة والعبادة وتحكيم الشريعة وتهذيب الأخلاق وتحويل الإسلام إلى منهج حياة واقعى والأخذ بأسباب الانتصار حتى ينصر الله الأمة على يد نبيه عيسى وخليفته المهدى عليهما السلام .

ثانيا : تحقيق الوحدة الإسلامية ورفع راية الجهاد فى سبيل الله وعدم التكاسل والتواكل على أخبار وملاحم المهدى وسيدنا عيسى عليهما السلام .

ثالثا : تحقيق الإيمان ومقتضياته لأنه حصن أمان المسلم أمام الفتن كلها ما ظهر منها وما بطن .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

د/ منصور حسن أحمد
المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية الدراسات الإسلامية بنى سويف

فهرس أهم المراجع

• " الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير " للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة / ط مكتبة السنة بالقاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ .

• " تفسير القرآن العظيم " للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ / تحقيق مصطفى السيد محمد ، محمد السيد رشاد ، محمد فضل العجماوى ، على أحمد عبد الباقى ، حسن عباس قطب / ط مؤسسة قرطبة بالتعاون مع مكتبة أولاد الشيخ للتراث بالجيزة ، طبعة أولى ١٤٢١هـ ، ط دار الحديث بالقاهرة ١٤١٥هـ .

• " جامع البيان عن تأويل آى القرآن " للإمام الجليل أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ٢٢٤هـ - ٣١٠ هـ / تحقيق د عبد الله بن عبد المحسن التركى بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر د عبد السند حسن يمامه ، ط دار هجر بالقاهرة ، طبعة أولى ١٤٢٢هـ .

• " الجامع لأحكام القرآن " للإمام الجليل أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى/ ط دار الريان للتراث بالقاهرة وهى مصورة عن ط الشعب .

• " دقائق التفسير " لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى / ط مؤسسة علوم القرآن بدمشق ، طبعة ثانية ١٤٠٤هـ بتحقيق محمد السيد الجليند .

• " روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى " للعلامة أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسى البغدادى ت ١٣٧٠هـ / ط دار إحياء التراث العربى ببيروت – لبنان .

• " زاد المسير فى علم التفسير " للإمام أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى البغدادى ٥٠٨ – ٥٩٧ / ط المكتب الإسلامى برئاسة أ. زهير الشاويش ، طبعة ثالثة ١٤٠٤هـ .

• " سنن ابن ماجة " لمحمد بن يزيد أبو عبد الله القزوينى / ط دار الفكر ببيروت / تحقيق أ. محمد فؤاد عبد الباقى.

• " سنن النسائى الصغرى المجتبى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى " ت٩١١ هـ وحاشية الإمام السندى ت١١٣٨هـ تحقيق مكتب تحقيق التراث الإسلامى/ط دار المعرفة بيروت– لبنان .

• " سنن أبى داود " للإمام الحافظ المصنف المتقن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى ٢٠٢ – ٢٧٥هـ وبهامشه كتاب معالم السنن للخطابى ٣١٩ – ٣٨٨هـ وهو شرح عليه مع تخريج أحاديثه وترقيمها / تعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد / ط دار ابن حزم ببيروت ، أولى ١٤١٨هـ.

• " صحيح البخارى " لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى / تحقيق الشيخ محمد الدين الخطيب ، محمد فؤاد عبد الباقى ، قصى محب الدين الخطيب / ط المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة ، أولى ١٤٠٠هـ .

• " صحيح مسلم بشرح النووى " ط المطبعة المصرية بالأزهر ، أولى ١٣٤٧هـ ، و" صحيح مسلم " ط دار إحياء التراث العربى ببيروت / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

• "صراع النهاية بين مسيح الضلالة ومسيح الهداية" د / عبد العزيز بن أحمد ابن محسن الحميدى / ط دار البيان الحديثة بالطائف فى المملكة العربية السعودية ، أولى ١٤٢١هـ .

• "قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم" للإمام ابن الجوزى تحقيق ودراسة الشيخ / محمد السيد الصفطاوى ، د / فؤاد عبد المنعم أحمد / ط منشأة المعارف بالإسكندرية .

• "قصص الأنبياء" للحافظ ابن كثير / تحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبى / ط دار المنار بالقاهرة .

• "مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء" للشيخ أحمد ديدات ، ترجمة على الجوهرى / ط دار الفضيلة .

• "معالم التنزيل" للإمام محى السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر،عثمان جمعه ضميرية،سليمان مسلم الحرش/ط دار طيبة،طبعة رابعة ١٤١٧هـ.

• "معجم البلدان" للإمام شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى / ط دار صادر بيروت ١٣٩٧هـ .

• "مفاتيح الغيب" للإمام محمد الرازى فخر الدين / قدم له الشيخ محى الدين الميس / ط دار الفكر بيروت – لبنان ١٤١٥هـ .

• "المستدرك على الصحيحين" للإمام أبى عبد الله الحاكم النيسابورى ، وبذيله انتقادات الذهبى وتتبع أوهام الحاكم التى سكت عليها الذهبى لأبى عبد الرحمن مقبل بن هادى الوادعى / ط دار الحرمين بالقاهرة ، أولى ١٤١٧هـ ، ط دار المعرفة ببيروت – لبنان بإشراف د / يوسف عبد الرحمن المرعشلى .

• "المسند" للإمام أحمد بن محمد بن حنبل / شرحه وصنع فهارسه الشيخ أحمد شاكر / ط دار الحديث بالقاهرة ، أولى ١٤١٦هـ .

• "المنار المنيف فى الصحيح والضعيف" لمحمد بن أبى بكر الزرعى ، أبو عبد الله المعروف بابن قيم الجوزية / ط مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ، ثانية ١٤٠٣هـبتحقيق عبد الفتاح أبو غدة

فهرس الموضوعات